سلسلة «الهوايات»

التَّصْوِيرُ بالكَامِيرَا
فَنٌّ وَمُتْعَة

PRAKTICA



مَكتبة لبنان



اِلتِقاطُ الصُّوَرِ الفوتوغرافِيَّةِ (بالكاميرا) بَسيطٌ وسَهْلٌ. ولٰكِنْ كَمْ مِنْ مَرَّةٍ تُعْجِبُكَ صورةٌ وُفِّقْتَ في اِلْتِقاطِها فَتَتَمَنّى لَوْ أَنَّ كُلَّ الصُّوَرِ الَّتي «تَأْخُذُها» تَكونُ بِتِلْكَ الجودةِ والرَّوْعَةِ!

إنَّ هٰذِهِ الأُمْنِيَةَ لَيْسَتْ عَسيرَةَ التَّحْقيقِ إذا ما تابَعْتَ بِاهْتِمامٍ وتَمَعُّنٍ ما يُورِدُهُ مُؤَلِّفُ هٰذا الكِتابِ (وَهُوَ مُصَوِّرٌ فوتوغرافِيٌّ عالَمِيُّ الشُّهْرَةِ) مِنْ إرْشاداتٍ وتَعْليماتٍ. وإنَّهُ بِاسْتِطاعَتِكَ أَنْ تُباهِيَ بِمَهارَتِكَ وتُفاخِرَ بِكُلِّ صورَةٍ تَلْتَقِطُها إذا أَنْتَ طَبَّقْتَ هٰذِهِ الإرْشاداتِ وتَمَرَّسْتَ بِها - بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ نَوْعِ الكاميرا الَّتي تَسْتَخْدِمُها.

وإذا كُنْتَ تَهْتَمُّ بالطَّريقَةِ الَّتي تَعْمَلُ بِها الكاميرا، فإنَّ كِتابَ «كَيْفَ تَعْمَلُ الكاميرا» في هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ يُجيبُ عَنْ جَميعِ تَساؤُلاتِكَ في هٰذا المَجالِ، فَعَلَيْكَ بِهِ!

طُبِعَ في انكلترا
١٩٨٢

التَّصْوِيرُ بالكَامِيرَ
فَنٌّ وَمُتْعَة

تَأليف وتَصْوير : كُولي غاريت
نَقَلَهُ إلى العَرَبيَّة : أحمَد الخطيب



مَكتبة لبنان

١ التَّصْويرُ الفوتوغْرافيُّ والكاميرا

التَّصْويرُ الفوتوغْرافيُّ وَسيلَةٌ رائِعَةٌ لِلتَّعبيرِ عَنْ أَفْكارِنا ومَشاعِرِنا ، ولَعَلَّ في كَلِمَةِ «فوتوغْرافي» الَّتي تَعْني بِاليونانِيَّةِ «الكِتابَةَ بِالضَّوْءِ» أَبْلَغَ وَصْفٍ لِهٰذِهِ الوَسيلَةِ. وتُثيرُ إِبْداعِيَّةُ التَّصْويرِ حَماسَتَنا وتَشَوُّقَنا ، فالصُّوَرُ الَّتي نَلْتَقِطُها بالكاميرا هِيَ في الواقِعِ المُفَكِّرَةُ اليَوْمِيَّةُ لِحَياتِنا نُسَجِّلُ فيها الوَقائِعَ والأَوْضاعَ والحالاتِ النَّفْسِيَّةَ والذِّكْرَياتِ ، وأَماكِنَ ذٰلِكَ كُلِّهِ.

ومِنَ المُؤْسِفِ أَنْ يَعْزِفَ الكَثيرونَ عَنْ تَعَلُّمِ أُصولِ التَّصْويرِ الفوتوغْرافيِّ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّها بالِغَةُ التِّقْنِيَّةِ والتَّعْقيدِ – لِكَثْرَةِ ما في بَعْضِ الكاميراتِ أَحْيانًا مِنَ الأَزْرارِ والأَقْراصِ المُدَرَّجَةِ.

وهٰذا الكِتابُ يَسْتَهْدِفُ إِزالَةَ هٰذِهِ المَخاوِفِ والشُّكوكِ ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ بَعْدَ الإِلْمامِ بِمَبادِئِ التَّصْويرِ وبَعْضِ النَّواحي الأَساسِيَّةِ لِلتَّصْويرِ النّاجِحِ فإِنَّ بِالإِمْكانِ الحُصولَ عَلى صُوَرٍ جَيِّدَةٍ حَتّى بِأَبْسَطِ أَنْواعِ الكاميراتِ.

ولْنَبْدَأْ بِاسْتِعْراضِ الخَصائِصِ الرَّئيسِيَّةِ لِلْكاميرا البَسيطَةِ كَتِلْكَ المُبَيَّنَةِ في الصّورَةِ أ مِنَ الصَّفْحَةِ المُقابِلَةِ. تَتَأَلَّفُ هٰذِهِ الكاميرا مِنْ صُنْدوقٍ كَتيمٍ لِلضَّوْءِ تَنْزَلِقُ في جُزْئِهِ الخَلْفِيِّ حافِظَةُ الفيلْمِ السَّهْلَةُ التَّرْكيبِ (الصّورَة ب). والفيلْمُ مَصْنوعٌ مِنْ مَوادَّ كيماوِيَّةٍ حَسّاسَةٍ لِلضَّوْءِ تَتَلَقّى الضَّوْءَ فَقَطْ في اللَّحْظَةِ الَّتي يُرادُ فيها عَرْضُ الصّورَةِ عَلى الفيلْمِ. والعَدَسَةُ في مُقَدَّمَةِ الكاميرا هِيَ الَّتي تُكَوِّنُ الصّورَةَ بَيْنَما يَتَحَكَّمُ الغَلَقُ في كَمِّيَّةِ الضَّوْءِ الدّاخِلِ عَبْرَ العَدَسَةِ. ويُرينا الشَّكْلُ د (في الصَّفْحَةِ ٦) كَيْفِيَّةَ تَلاؤُمِ الأَشِعَّةِ المُنْعَكِسَةِ عَنِ الجِسْمِ (أَوِ الصّادِرَةِ عَنْهُ) لِتُكَوِّنَ صورَةً واضِحَةَ المَعالِمِ.

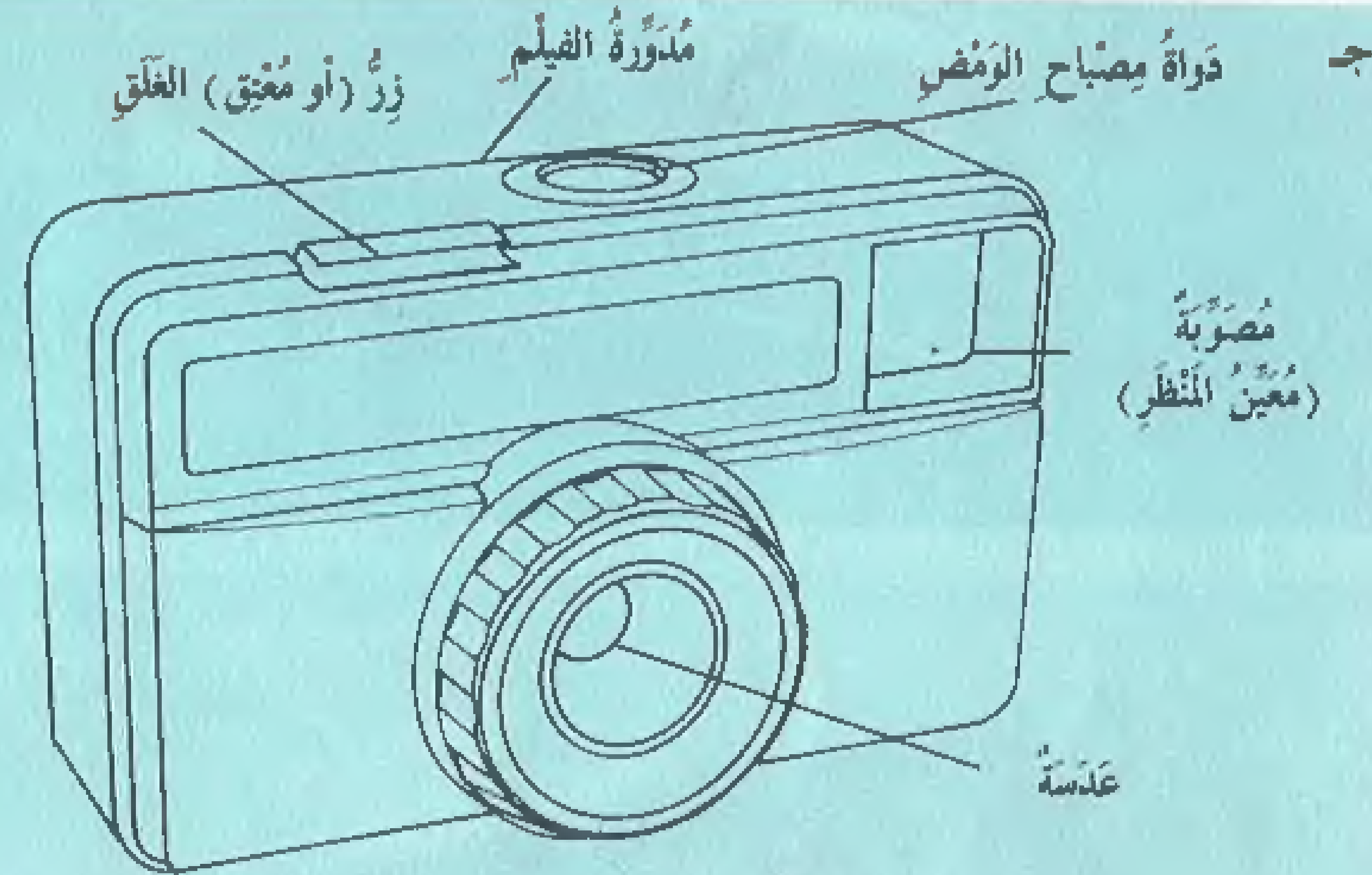


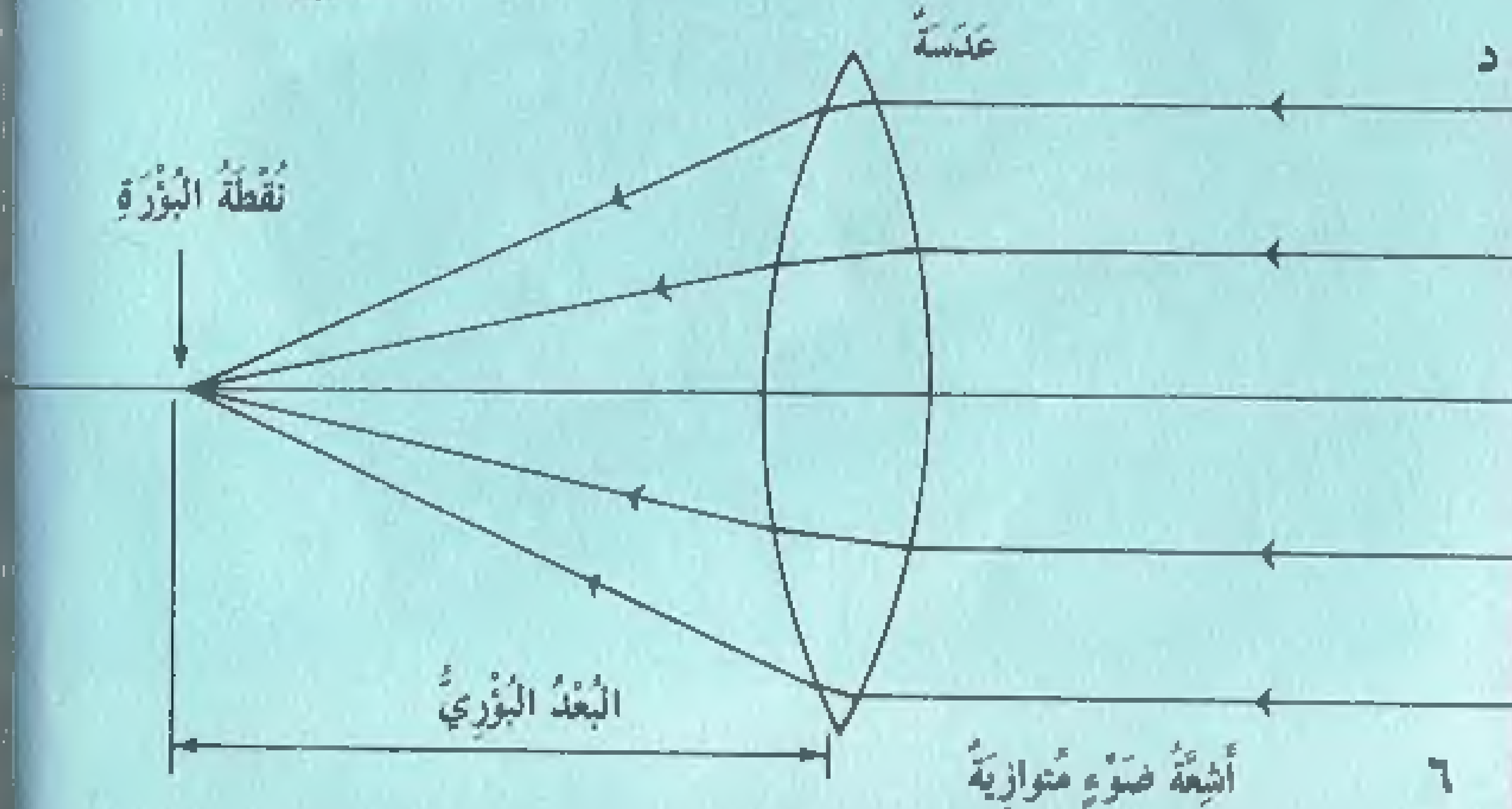
أ



ب

عِنْدَما تَسْتَخْدِمُ كاميرا مِنْ نَوْعِ كُوداك إنْستاماتيكْ (الشَّكْل ج) ما عَلَيْكَ إلّا أنْ تَضْبِطَ المُصَوِّبَةَ (أيْ مُعَيِّنَ المَنْظَرِ) ثُمَّ تَضْغَطَ زِرَّ الغَلَق لإعْتاقِهِ. هٰذِهِ الكاميراتُ البَسيطَةُ مِثالِيَّةٌ **لِلْمُبْتَدِئينَ** وصُوَرُها جَيِّدَةٌ كَما تَرى في الصَّورَةِ هـ. لاحِظْ وُضوحَ مَعالِمِ وجْهِ القِرْدِ ومِسْحَةَ الحُزْنِ البادِيَةَ في نَظَراتِهِ عَبْرَ أسْلاكِ القَفَصِ. وبإمْكانِ المُبْتَدِئِ الحُصولُ عَلى صُوَرٍ كَهٰذِهِ.






هـ


و

وفي الصَّورَةِ الأُخْرى (و) نَرى بَساطَةً ووَقْعًا مُؤَثِّرَيْنِ. لاحِظْ كَيْفَ أنَّ وَضْعَ الكاميرا يُبْرِزُ البَيْتَ في مَنْظَرٍ أخّاذٍ وقَدْ أنارَتْهُ الشَّمْسُ وحَفَّتْ بِهِ الغُيومُ. لاحِظْ أيْضًا الأثَرَ الفَعّالَ لِلسَّقْفِ القاتِمِ في إبْرازِ التَّبايُنِ بَيْنَ شُحوبِ الجَوِّ وبَياضِ الجُدْرانِ. كَما إنَّ المَنْظَرَ يَخْلو مِنْ أيِّ أعْمِدَةٍ أوْ أسْلاكٍ أوْ سِواها مِمّا يُفْسِدُ انْسِجامَهُ وجَمالَهُ.

ومِنَ الأخْطاءِ الشّائِعَةِ في عالَمِ التَّصْويرِ الفوتوغْرافِيِّ أنَّ الصُّوَرَ المُمْتازَةَ لا تُؤْخَذُ إلّا بالمُعَدّاتِ المُعَقَّدَةِ الغالِيَةِ الثَّمَنِ. والواقِعُ أنَّهُ كَثيرًا ما يَكونُ العَكْسُ هُوَ الصَّحيحُ – فَكَثيرونَ مِمَّنْ يَسْتَخْدِمونَ أجْوَدَ الكاميراتِ يَحْصُلونَ عَلى نَتائِجَ سَيِّئَةٍ لافْتِقارِهِمْ إلى الخِبْرَةِ في اسْتِعْمالِ تِلْكَ الكاميراتِ.

مِنَ الواضِحِ طَبْعًا أنَّ الكاميراتِ البَسيطَةَ مَحْدودَةُ المَجالاتِ وأنَّها لا تَصْلُحُ لِكُلِّ أنْواعِ التَّصْويرِ الفوتوغْرافِيِّ. وسَنَعْرِضُ في الفَصْلِ السّابِعِ مِنْ هٰذا الكِتابِ لِكاميرا عاكِسَةٍ مِنَ النَّوْعِ المُتَطَوِّرِ الَّذي يَسْتَخْدِمُهُ كَثيرٌ مِنَ الهُواةِ الحاذِقينَ وحَتّى بَعْضٌ مِنَ المُبْتَدِئينَ. والمُهِمُّ أنْ تُحَدِّدَ أنْتَ مِنَ البِدايَةِ نَوْعِيَّةَ الكاميرا الَّتي تُلائِمُ أغْراضَكَ وأوْضاعَكَ.

٢ المُقوِّماتُ الأَساسيَّةُ لِلصّورَةِ النّاجِحَةِ

تَتَضافَرُ عَلى إِنْتاجِ الصّورَةِ النّاجِحَةِ وبِدَرَجاتٍ مُتَفاوِتَةٍ كُلٌّ أَوْ بَعْضُ العَوامِلِ التّالِيَةِ : الشَّكْلِ والضَّوْءِ واللَّوْنِ والمُؤَثِّراتِ .

الشَّكْلُ . ونَعْني بِهِ هَيْئَةَ الأَشْياءِ الَّتي تُؤَلِّفُ الصّورَةَ . فَأَوَّلُ ما نَتَعَلَّمُهُ مِنْ أُصولِ التَّصْويرِ الفوتوغْرافيِّ هُوَ **تَضْبيطُ** هَيْئَةِ الأَشْكالِ المُرادِ تَصْويرُها بِائْتِلافٍ وانْسِجامٍ عَبْرَ مُعَيِّنِ المَنْظَرِ في الكاميرا .

الضَّوْءُ . لا صورَةَ بِدونِ ضَوْءٍ . فالمُصَوِّرُ يُشَكِّلُ نَماذِجَهُ مِنَ الصُّوَرِ بِالضَّوْءِ كَما يَصوغُ الفَخّارِيُّ أَوْعِيَتَهُ مِنَ الطّينِ . لٰكِنَّ المُصَوِّرَ أَحْيانًا يُرَكِّزُ عَلى الضَّوْءِ بِشَكْلٍ خاصٍّ فَيُبْرِزُهُ بِكَثافاتٍ مُتَفاوِتَةٍ .

اللَّوْنُ . غالِبًا ما يَكونُ اللَّوْنُ ماثِلًا في مُعْظَمِ الصُّوَرِ الَّتي نَلْتَقِطُها ، لٰكِنَّ المُصَوِّرينَ أَحْيانًا يَخْتارونَ مَوْضوعَ الصّورَةِ لِأَنَّهُ ذو لَوْنٍ مُعَيَّنٍ – وهٰكَذا يُصْبِحُ اللَّوْنُ عِلَّةَ الصّورَةِ وجَوْهَرَها .

المُؤَثِّراتُ . تُعْنى بَعْضُ الصُّوَرِ بِالمُؤَثِّراتِ البَصَرِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ عُنْصُرٍ آخَرَ فيها . وكَثيرًا ما تُصَوِّرُ هٰذِهِ المُؤَثِّراتُ لِخَلْقِ جَوٍّ مُعَيَّنٍ كَما في الخَيالاتِ الظِّلالِيَّةِ أَوْ غُروبِ الشَّمْسِ . ومِنَ المُؤَثِّراتِ الرّائِعَةِ أَيْضًا الانْعِكاساتُ في الماءِ أَوْ سِهامُ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ تَنْهَمِرُ في قَصْرٍ عَتيقٍ .

ومِنَ الواضِحِ أَنَّ هٰذِهِ العَناصِرَ يَتَداخَلُ بَعْضُها في بَعْضٍ – لٰكِنَّها عادَةً تَتَّخِذُ نَسَقًا مُمَيَّزًا . وعَلَيْنا ، ونَحْنُ نَسْتَعْرِضُ صورَةً ما ، أَنْ نُحاوِلَ تَفَهُّمَ هٰذِهِ العَناصِرِ وأَنْ نَقْرَأَها كَما نَقْرَأُ الكَلِماتِ ! ولْنَسْتَعْرِضْ مَعًا المَناظِرَ التِّسْعَةَ التّالِيَةَ .



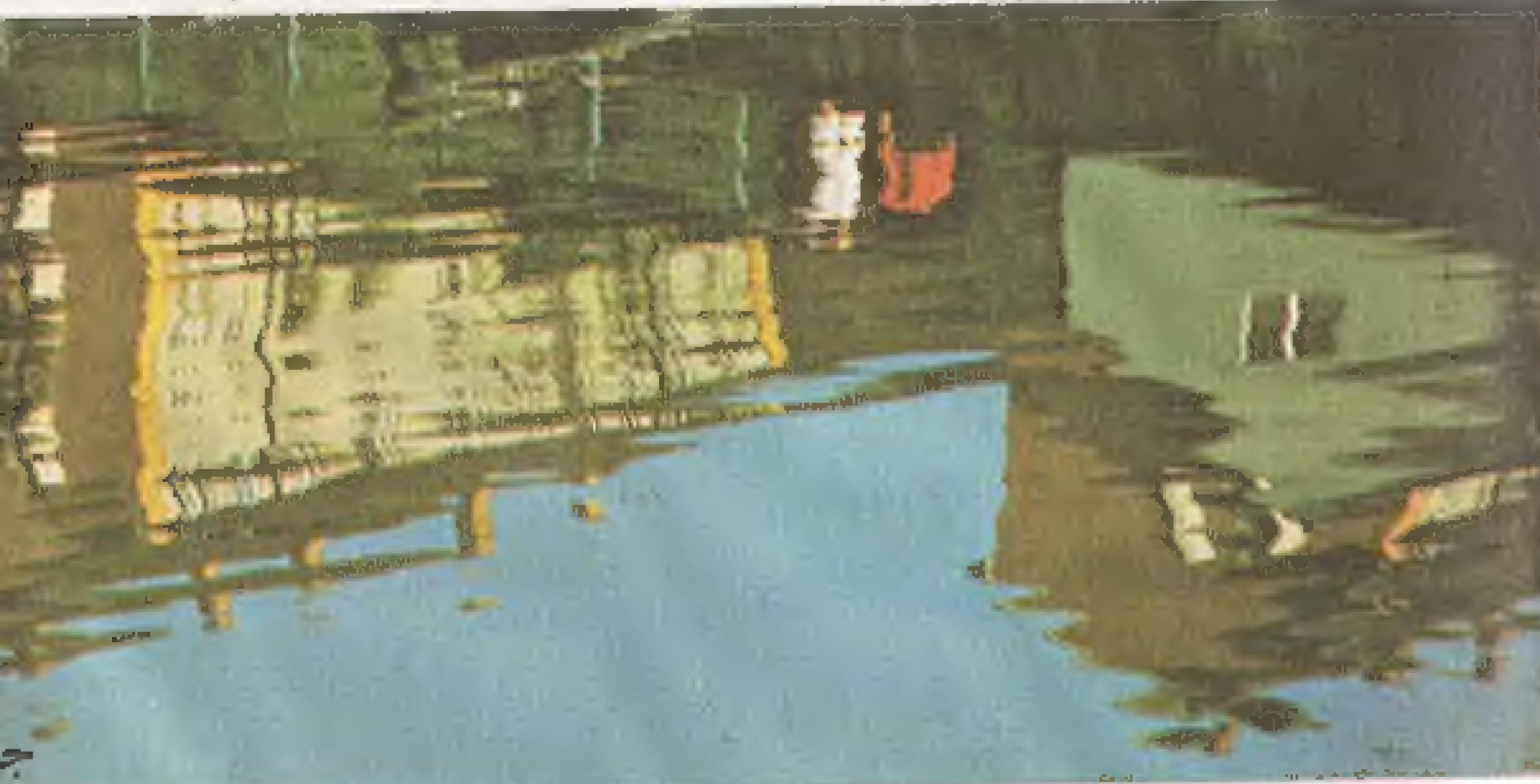
أ . هُنا يُسَيْطِرُ **الشَّكْلُ** ، فالصّورَةُ تُبْرِزُ مَوْضوعَها جَلِيًّا بِقُوَّةِ التَّأْليفِ وتَوازُنِهِ . ويَأْتي **اللَّوْنُ** في المَرْتَبَةِ الثّانِيَةِ بِتَبايُنٍ ظاهِرٍ بَيْنَ الأَحْمَرِ والأَخْضَرِ .



ب . إِنَّ **اللَّوْنَ** لا الشَّكْلَ هُوَ الَّذي حَدا المُؤَلِّفَ إِلى الْتِقاطِ صورَةِ هٰذِهِ البَراميلِ .

ج . صورَةُ **مُؤَثِّراتٍ** . لَقَدِ افْتُتِنَ المُصَوِّرُ بِهٰذِهِ الانْعِكاساتِ في الماءِ فَسَجَّلَها .

لاحِظْ إِدْخالَ **اللَّوْنِ** كَعُنْصُرٍ ثانَوِيٍّ في الصّورَةِ بِوُجودِ الخَيالِ الأَحْمَرِ فيها .





د

د. باستطاعتك التقدير كيف أنّ **لون** أوراق الخريف هنا فرض نفسه، خاصّةً في تلك الخلفيّة الرائعة التي تؤلّفها الأشجار **بأشكالها** وجلالها.

هـ. هذه صورة **مؤثّرات** أيضًا يعزّزها **شكل** الغيوم في الأفق وتتميّز بغياب **اللون**. وفيها معالجة طريفة **للضوء** تحقّقت بتوجيه الكاميرا نحو الشمس.



هـ



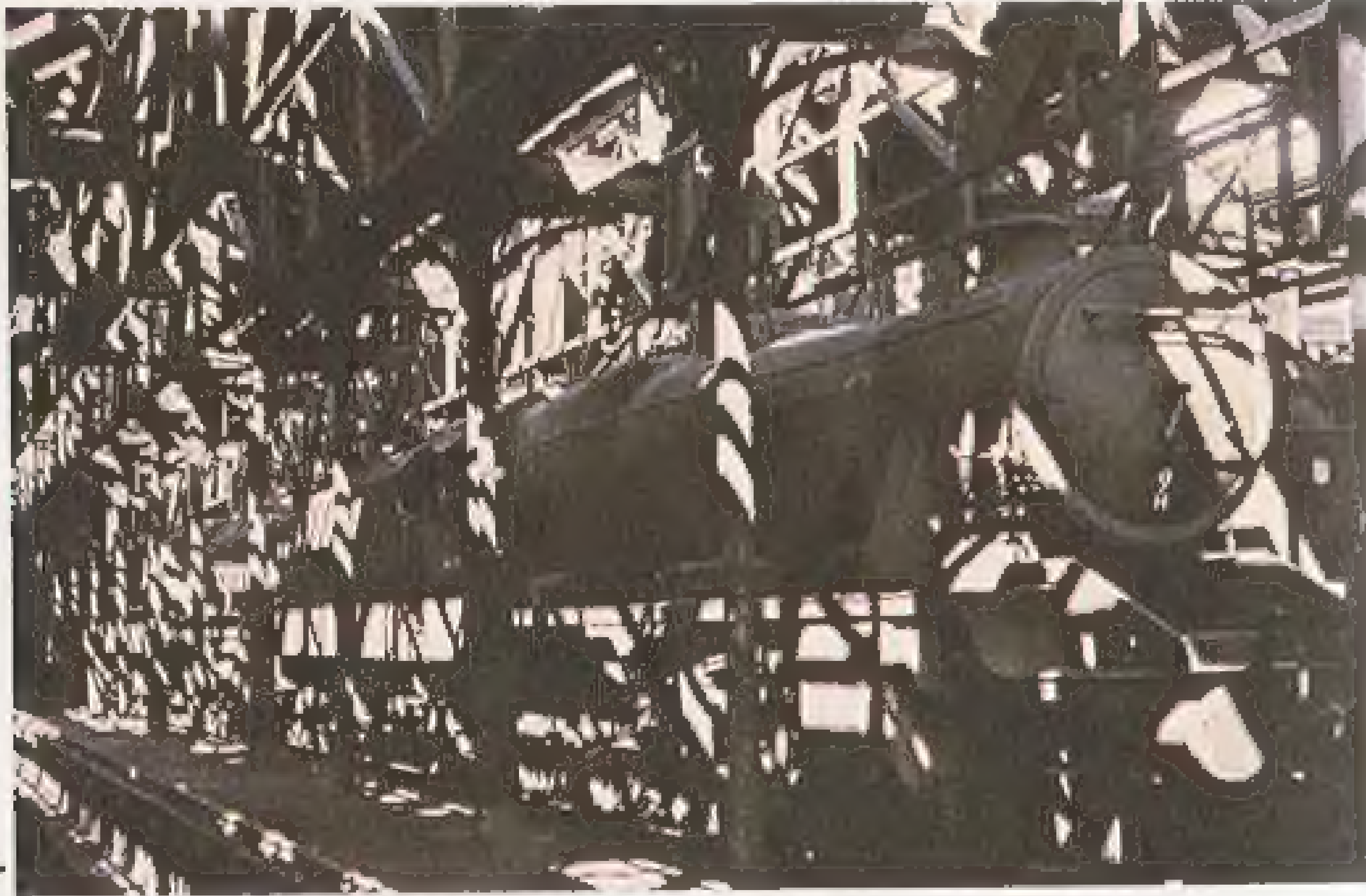
و

و. **اللون** في الواجهة – فموضوع الصورة نفسه ثانويّ هنا. لاحظ تلوّث أماميّة الصورة ببقعتين من قطر الدهان.



ز

ز. مؤثّرات بانوراميّة تحقّقت بتحريك الكاميرا مع الدرّاجة المنطلقة وبتغبيش الخلفيّة لخلق إحساس بالحركة. أبرز هذا الأسلوب **شكل** الدرّاج موضوع الصورة.



حـ

حـ. يبدو لنا **الضوء** هنا متغلغلًا في أرجاء مستودع قديم محوّلًا القاطرات البخاريّة المهجورة إلى **مؤثّرات** مرقّشة. هنا يغيب **اللون** ويكاد ينعدم **الشكل**.



ط

ط. هذه ليست صورة فوتوغرافيّة بل زيتيّة ذاتيّة للرسّام الهولنديّ المبدع رامبرانت الذي اشتهر باستخدامه **الضوء**. وهنا يبرز توافقًا رائعًا بين **الضوء** والشكل.

٣ التَّأْليفُ

إنَّ تأليفَ الصُّوَرِ أمْرٌ حَيَوِيُّ الأهَمِّيَّةِ في إنْجاحِها. فبالإضافةِ إلى اختِيارِ الزّاوِيَةِ المُثْلى والإضاءَةِ المُناسِبَةِ عَلَيْنا تَقْريرُ مادَّةِ الصُّورَةِ – ما نُريدُهُ فيها وما لا نُريدُه. وهٰذا يَقْتَضي مِنّا تَعْيينَ المَنْظَرِ بِدِقَّةٍ، ناظِرينَ عَبْرَ المُصَوِّبَةِ وآخِذينَ بِعَيْنِ الاعْتِبارِ، لا مَوْضوعَ الصُّورَةِ فَقَطْ بَلْ أيْضًا عَلاقَتَهُ بِخَلْفِيَّتِهِ وبِما حَوالَيْهِ.



أ. ولْنَبْدَأْ بِدِراسَةِ تأليفٍ مِثالِيٍّ هُوَ لَوْحَةُ «ميلاد ڤينوس» لِبوتيتشلي (١٤٤٥–١٥١٠). هُنا تَتَجَلّى رَوْعَةُ الائْتِلافِ أُمْثولَةً لِلرَّسّامِ والمُصَوِّرِ على السَّواء.

لاحِظْ تَوازُنَ الأشْكالِ حَوْلَ ڤينوس مِنَ الجانِبَيْنِ مَعَ مَيْلٍ نَحْوَها وتَوَجُّهٍ يَقودُ عَيْنَ النّاظِرِ تِلْقائِيًّا إلَيْها كَمَوْضوعٍ لِلصّورَةِ. والأشْكالُ في صَدْرِ اللَّوْحَةِ تَقْسِمُها إلى أجْزاءٍ ثَلاثَةٍ، وهٰذا التَّقْسيمُ يُحاكيهِ عَموديًّا كَوْنُ الأُفُقِ يَشْغَلُ الثُّلُثَ الأعْلى مِنَ الصّورَةِ.



ب. لا يَخْتَلِفُ التَّأليفُ في هٰذا المَنْظَرِ الرّيفِيِّ عَنْهُ في المَنْظَرِ السّابِقِ. فالشَّجَرَةُ تَشْغَلُ الثُّلُثَ الأيْسَرَ مُقابِلَ ثُلُثَيْنِ تَتَجَلّى فيهِما زُرْقَةُ السَّماءِ المُتَفاوِتَةُ، فَيَتَحَقَّقُ لِلصّورَةِ نَوْعٌ مِنَ الانْسِجامِ.



ج. هُنا تَخْتَلِفُ نَوْعِيَّةُ التَّناسُبِ بِوُجودِ سُحُبِ الدُّخانِ المُحَوِّمَةِ في الأُفُقِ. فَلَوْ كانَتِ السُّحُبُ تَتَصاعَدُ مِنَ القاطِرَةِ عَموديًّا لَفَسَدَ تَوازُنُ الصّورَةِ وتأليفُها بِالفُسْحَةِ الخالِيَةِ في الجانِبِ الأيْسَرِ.



د. تُضْفي السُّحُبُ جَمالًا عَلى صُوَرِ المَناظِرِ الطَّبيعِيَّةِ كَما في هٰذِهِ الصّورَةِ. ومَخْزَنُ الحُبوبِ هُنا، بِفَضْلِ لَوْنِهِ البارِزِ، يَبْقى المَوْضوعَ المُسَيْطِرَ في الصّورَةِ رُغْمَ كَوْنِهِ يَشْغَلُ حَيِّزًا ضَئيلًا مِنْ مِساحَتِها. وكانَ الأمْرُ يَخْتَلِفُ لَوْ أنَّ الأشْجارَ كانَتْ تَكْتَسي أوْراقًا خَريفِيَّةً، إذْ يَضيعُ حينَئِذٍ التَّرْكيزُ عَلى المَخْزَنِ ويَتَغَيَّرُ مَعْنى الصّورَةِ تَمامًا. تَذَكَّرْ دائِمًا أنَّ الألْوانَ يَجِبُ أنْ تُعَزِّزَ مَوْضوعَ الصّورَةِ – كَما هُنا – لا أنْ تَنْتَقِصَ مِنْهُ.

ه


ه. يُبيِّنُ هٰذا الرَّسْمُ مَظْهَرَيْنِ آخَرَيْنِ لِلتَّأْليفِ – ففيهِ أَوَّلًا تفاصيلُ واضِحةُ المَعالِمِ في صَدْرِ الصّورَةِ ، وفيهِ ثانِيًا مِنْطَقَتا اهْتِمامٍ رَئيسِيَّتانِ . لاحِظِ التَّمايُزَ الكامِلَ لِلْمِنْطَقَتَيْنِ بِواسِطَةِ رُقْعَةِ الأَرْضِ الخالِيَةِ المُمْتَدَّةِ بَيْنَهُما في وَسَطِ الصّورَةِ .

و. تَكادُ مَلامِحُ الأَوْلادِ وأَساريرُهُمْ تَبْرُزُ خارِجَ الصّورَةِ ، وذٰلِكَ عائِدٌ لِحِيادِيَّةِ الخَلْفِيَّةِ وعَدَمِ طُغْيانِها على مَوْضوعِ الصّورَةِ .

و


لاحِظِ امْتِلاءَ أَرْجاءِ الصّورَةِ في كُلٍّ مِنَ المَناظِرِ السِّتَّةِ السّالِفَةِ ، وتَذَكَّرِ المَأْثورَ : «إذا لَمْ تَكُنْ صُوَرُكَ جَيِّدَةً بِما فيهِ الكِفايَةُ فَلَعَلَّكَ لَمْ تَقْتَرِبْ بِالقَدْرِ الكافي لالْتِقاطِها» .

ما يَجِبُ أَنْ تَتَحاشاهُ

سَنَسْتَعْرِضُ الآنَ مَعًا مَجْموعَةً مِنَ الصُّوَرِ السَّيِّئَةِ التَّأْليفِ لِاكْتِشافِ الأَخْطاءِ الَّتي وَقَعَ فيها المُصَوِّرونَ .

أ. هَلْ رَأَيْتَ ازْهِرارًا شَوْكِيًّا يَنْبُتُ مِنْ رَأْسِ إِنْسانٍ؟ هٰذا هُوَ ما رَآهُ مُصَوِّرُ هٰذِهِ اللَّقْطَةِ – حَتّى دونَ أَنْ يُلاحِظَ هُوَ ذٰلِكَ . ومِنَ الأَخْطاءِ الأُخرى في هٰذِهِ الصّورَةِ ظِلالِيَّةُ وَجْهِ الأُمِّ وخَطُّ الأُفُقِ الجافي عَبْرَ خَصْرِها .

ب. بِناءٌ رائِعٌ شَوَّهَتْهُ خَراقَةُ التَّصْويرِ – فَزاوِيَةُ اللَّقْطَةِ خاطِئَةٌ واللَّوْنُ كامِدٌ كَئيبٌ . أَمّا ظُهورُ الحاجِزِ الرَّصيفِيِّ والجُنودِ الثَّلاثَةِ في أَمامِيَّةِ الصّورَةِ فَلا يَخْدُمُ الصّورَةَ بِشَيْءٍ . ويَزيدُ الأُمورَ سوءًا تِلْكَ الحافِلَةُ الزَّرْقاءُ المُقْبِلَةُ بِسُرْعَةٍ في يَسارِ الصّورَةِ .

أ


ب



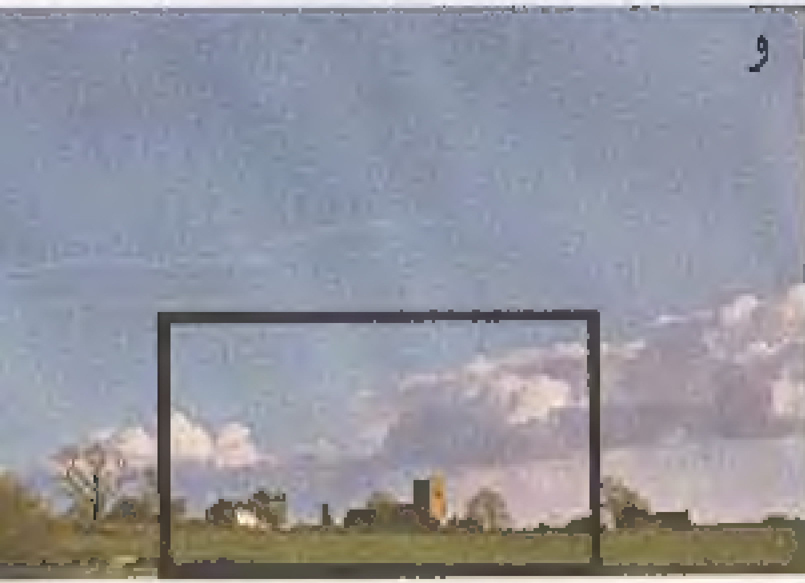

ج. صورةٌ تَستَرعي الاهتِمامَ لِحُسْنِ تَعابيرِ الصَّبيِّ وأسَدِهِ الحَجَريِّ. لكِنَّ وَقْعَ الصّورَةِ ضائِعٌ لِلأسَفِ بالحَشْوِ اللاموْضوعيِّ في جانِبَيْها. وكانَ يَجْدُرُ بالمُصوِّرِ أنْ يَتحاشى التَّأليفَ الأُفُقيَّ هُنا، فيَحْمِلَ الكاميرا في وَضْعٍ عَموديٍّ ويقتَرِبَ أكثَرَ نَحْوَ المَوْضوعِ كَما تُبيِّنُ لَنا الخُطوطُ الدَّليليَّةُ.



د. ما الّذي تَعتَقِدُ أنَّ المُصوِّرَ استَهْدَفَهُ في هٰذِهِ اللَّقْطَةِ؟ إنْ كانَ يَستَهدِفُ الفَراشَةَ فَقَطْ، فكانَ الأَحْرى بِهِ أنْ يَقتَرِبَ أكْثَرَ بِكَثيرٍ. وإنْ كانَ يَستَهدِفُ الفَراشَةَ في مُحيطِها الطَّبيعيِّ فَقَدْ كانَ عَلَيْهِ أنْ يَختارَ لَها أزْهارًا مِنْ نَوْعٍ مُختلِفٍ. فَلا نَحْنُ استَمتَعْنا بِجَمالِ الفَراشَةِ ولا بِسِحْرِ الأزْهارِ بِسَبَبِ انْدِماجِ الألْوانِ وتَداخُلِها.



هـ. حاوِلْ أنْ تُحْصِيَ الأخْطاءَ في هٰذِهِ الصّورَةِ. لَقَدْ قَصَدَ المُصوِّرُ التِقاطَ صورَةٍ لِعائِلَةٍ في حَديقَةٍ، فماذا كانَت النَّتيجَةُ؟ زِيادَةٌ مُفْرِطَةٌ في أماميَّةِ



(صَدْرِ) الصّورَةِ، قائِمَةٌ دِعامِيَّةٌ تَبْرُزُ بِبَشاعَةٍ مِنَ اليَسارِ، بِرْميلُ زِبالَةٍ إلى اليَمينِ وغَسيلٌ على حَبْلٍ في الخَلْفِيَّةِ! والصّورَةُ الحَقيقيَّةُ هيَ ما يَحْتَويهِ المُستَطيلُ المَرْسومُ.



و. مَنْظَرُ وادٍ جَميلٌ تُنيرُهُ شَمْسُ الغُروبِ، لكِنْ أفْسَدَ رَوْعَتَهُ طُغْيانُ الزُّرْقَةِ السَّماويَّةِ فيهِ. وكانَتِ المُشْكِلَةُ تُحَلُّ باستِخْدامِ عَدَسَةِ تَصْويرٍ أطْوَلَ.

ز. هُنالِكَ خَطآنِ في هٰذِهِ الصّورَةِ يُضَيِّعانِ وَقْعَها – أوّلُهُما أماميَّةُ الصّورَةِ المُفْرِطَةُ (حَوالى نِصْفِ المَساحَةِ)، وثانيهِما انْدِماجُ بَياضِ قُمْصانِ الفَتَياتِ في لَوْنِ المَبْنى.

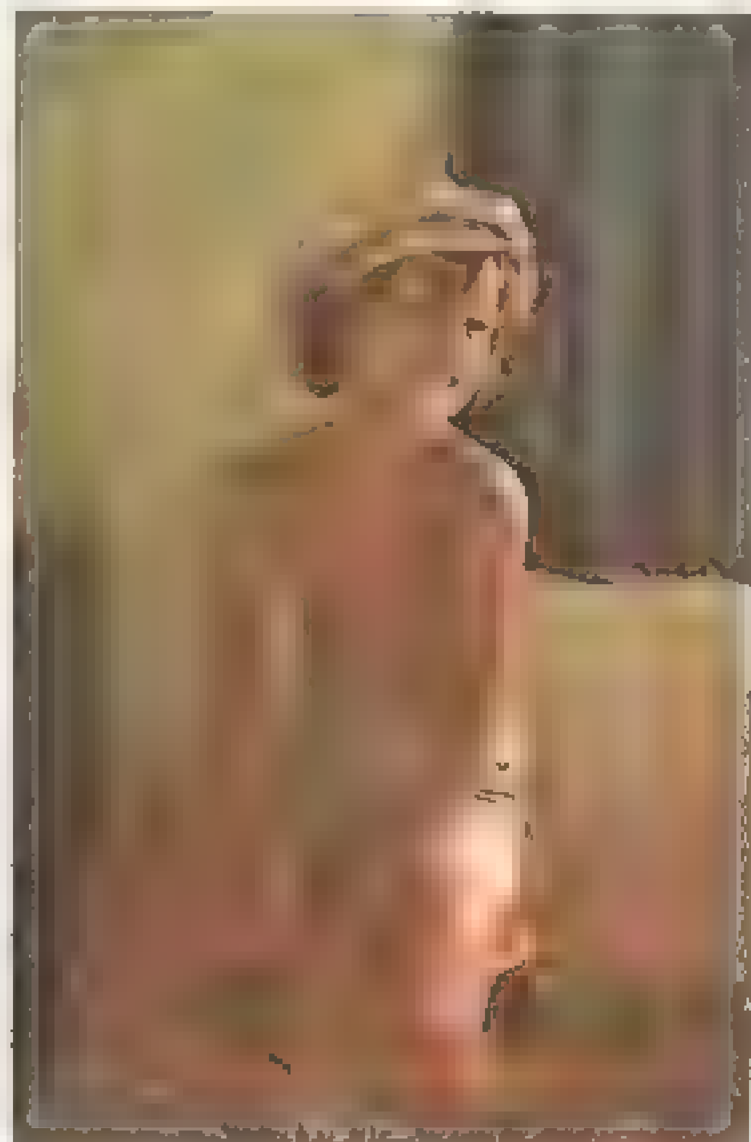


حـ. لَيْسَ كالشّادِنِ (وَلَدِ الظَّبْيَةِ) بَيْنَ الحَيَواناتِ جَماليَّةٌ ورَوْعَةٌ لِلتَّصْويرِ. لكِنَّ المُصوِّرَ أضاعَ جَمالَهُ في المُحيطِ الرَّتيبِ حَوْلَهُ. هُنا أيْضًا كانَتِ العَدَسَةُ الأطْوَلُ تُقَرِّبُ الشّادِنَ دونَ تَنْفيرِهِ وتَختَصِرُ خَلْفيَّةَ الصّورَةِ مُرَكَّزَةً على مَوْضوعِها.



ط

ط. يا لَها من لَخْبَطةٍ رَهيبةٍ! هَلْ تَدْري كَمْ خَطأً فيها؟ لَقَدِ انْشَغَلَ بالُ المُصوِّرِ بالحَمّالِ وجَمَلِهِ إلى حَدِّ أَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ خيالَهُ هُوَ في الزّاوِيَةِ اليُسْرى مِنَ الصّورَةِ. ثُمَّ إنَّ مَوْضوعَ المَنْظَرِ تائِهٌ في فَوْضى السَّيّاراتِ والباصاتِ، وخَطَّ الأُفُقِ يَكادُ يَشْطُرُ الصّورَةَ بِصَفَّيْنِ ونَجِدُ هُنا أَيْضًا إفْراطًا في أَمامِيَّةِ الصّورَةِ. وآمُلُ أَلّا تَجْتَمِعَ مِثْلُ هٰذِهِ الأَخْطاءِ لَدى أَيٍّ مِنْ قُرّاءِ هٰذا الكِتابِ.



وكَمْ كانَتْ تَبْدو صورَةُ الحَمَلِ والجَمّالِ رائِعَةً لَوِ اخْتيرَ لَها فَساحَةٌ مِنَ الرِّمالِ الذَّهَبِيَّةِ كَخَلْفِيَّةٍ!

ي لا يُفْسِدُ رَوْعَةَ هٰذِهِ الصّورَةِ أَكْثَرَ مِنَ السِّتارَةِ الزَّرْقاءِ الشّاخِصَةِ في خَلْفِيَّتِها ولَوْ أُخِذَتْ صورَةُ الفَتى قُبالَةَ خَلْفِيَّةٍ مُحايِدَةٍ لَكانَ لَها وَقْعٌ أَجْمَلُ وأَرْوَعُ.

ي

نَحْوَ صورَةٍ مُثْلى

إنَّ الكَثيرَ مِنْ مَهارَةِ التَّصْويرِ يَتَمَثَّلُ في الاسْتِفادَةِ إلى أَقْصى حَدٍّ مِنَ الظُّروفِ المُتَوافِرَةِ، والصُّوَرُ التّالِيَةُ تَشْرَحُ ذٰلِكَ.

أ

أ تَأْليفٌ جَيِّدٌ. لٰكِنَّ سَوادَ ظُلْمَةِ السَّماءِ طَغى عَلى القاطِرَتَيْنِ السَّوْداوَيْنِ. كَذٰلِكَ تَشْكو الصّورَةُ نَقْصًا في الحَيَوِيَّةِ والحَرَكَةِ.

ب. هٰذِهِ مُحاوَلَةٌ أَفْضَلُ: فَقَدْ أَضْفى البُخارُ والأَنْوارُ عَلى الصّورَةِ حَيَوِيَّةً وإثارَةً – ولَعَلَّ الإثارَةَ زادَتْ عَلى حَدِّها فَطَمَسَتِ القاطِرَةَ اليُسْرى.

ب

ج. عَظيمٌ! بِمَزيدٍ مِنَ الضَّوْءِ وبِتَوْزيعٍ أَفْضَلَ لِلْبُخارِ قَهَرْنا الخَلْفِيَّةَ السَّوْداء

ج



وإليكَ ثلاثَ صُوَرٍ أُخرى لِلتَدليلِ على أهمّيَّةِ الصَّبْرِ وسَعَةِ الخَيالِ في اِلتِقاطِ الصُّوَرِ النّاجِحَةِ.


د


هـ

د. رَسْمٌ حَسَنُ التّأليفِ لِقاطِرَتَيْنِ تَجُرّانِ قِطارًا ثَقيلًا. تُنيرُ المَنْظَرَ شَمْسُ الغُروبِ اللَّطيفَةُ وتُكَمِّلُهُ تَكْوِيناتٌ مِنَ السُّحُبِ الجَميلَةِ. شَيْءٌ واحِدٌ فَقَطْ نَفْتَقِدُهُ في هٰذِهِ الصُّورَةِ إنَّهُ دُخانُ القاطِرَةِ!

هـ. بَديعٌ! سُحُبُ الدُّخانِ تَنْبَعِثُ مِنَ القاطِرَتَيْنِ، لكِنْ لِسوءِ الحَظِّ تَوارَتِ الشَّمْسُ خَلْفَ الغَيْمِ وجاءَ الوَقّادُ يَتَّكِيءُ على مِصَدِّ القاطِرَةِ!

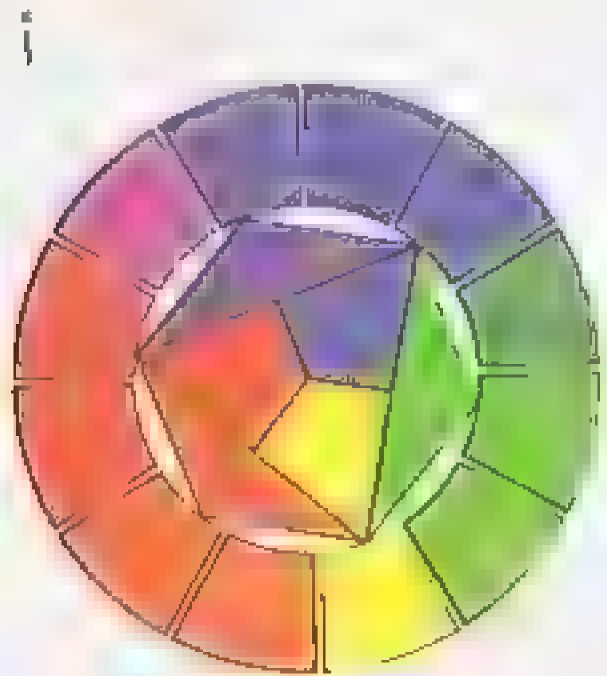
و. وأخيرًا ها هيَ الصّورَةُ المُثْلى! نورُ الشَّمْسِ وافٍ، والدُّخانُ صافٍ، وانْسَحَبَ الوَقّادُ. والبَديلُ الآخَرُ إمْكانُ إظْهارِ انْبِعاثِ الدُّخانِ مِنَ القاطِرَتَيْنِ.

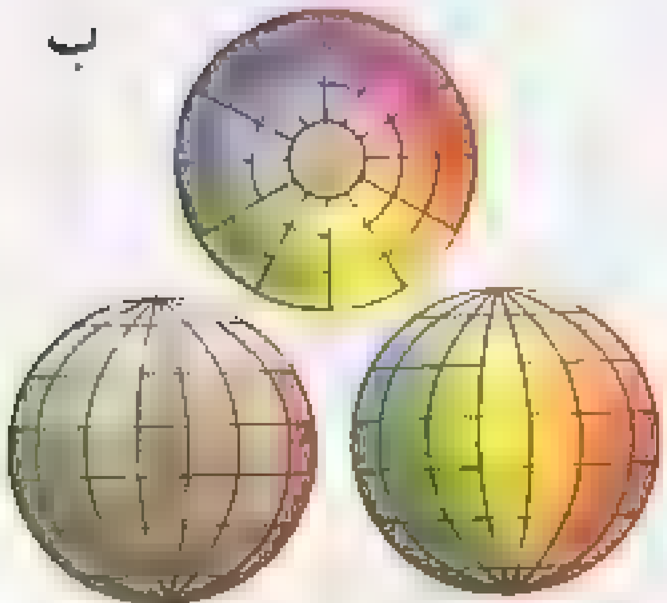

و

اللَّوْنُ

أ. عَلَيْنا كَمُصَوِّرينَ أنْ نُرَسِّخَ في أنْفُسِنا حِسًّا ووَعْيًا مُرْهَفَيْنِ لِلَّوْنِ. وفي الصّورَةِ أدْناهُ دائِرَةُ ألْوانٍ تَتَدَرَّجُ عَلَيْها الألْوانُ مِنَ الدّافِئَةِ الأحْمَرِ والبُرْتُقاليِّ والأصْفَرِ إلى البارِدَيْنِ الأخْضَرِ والأزْرَقِ. وكُلُّ لَوْنَيْنِ مُتَقابِلَيْنِ على الدّائِرَةِ هُما لَوْنانِ **مُتَبايِنانِ** – كالأحْمَرِ والأخْضَرِ أوِ الأزْرَقِ والبُرْتُقاليِّ أوِ الأصْفَرِ والبَنَفْسَجيِّ. أمّا الألْوانُ المُتَجاوِرَةُ فمُتَماثِلَةٌ **يَتَساوَقُ** بَعْضُها مَعَ بَعْضٍ. وقَلَّما تُؤَلَّفُ الصُّوَرُ مِنْ ألْوانٍ دافِئَةٍ فَقَطْ أوْ بارِدَةٍ فَقَطْ، بَلْ مِنَ ائْتِلافاتٍ شَيِّقَةٍ مِنْ كِلا المَجْموعَتَيْنِ.

ب والآنَ تَفَحَّصِ الكُرَةَ اللَّوْنِيَّةَ (كُرَة مَنْسِل) في أسْفَلِ الصّورَةِ ولاحِظْ تَدَرُّجَ الألْوانِ النَّقِيَّةِ **أوِ التّامَّةِ الإشْباعِ** نَحْوَ الأبْيَضِ أوِ الأسْوَدِ أوِ الرَّمادِيِّ. هذه المَنْظومَةُ تُبَيِّنُ التَّعَدُّدِيَّةَ الفائِقَةَ لِتَعايُرِ اللَّوْنِيِّ المِعْيارِيِّ، وهِيَ جَديرَةٌ بالمَزيدِ مِنَ الدَّرْسِ لِتَتَمَكَّنَ العَيْنُ مِنْ إدْراكِ المَدى الواسِعِ لِتَدَرُّجِ الظِّلالِ اللَّوْنِيَّةِ.


أ

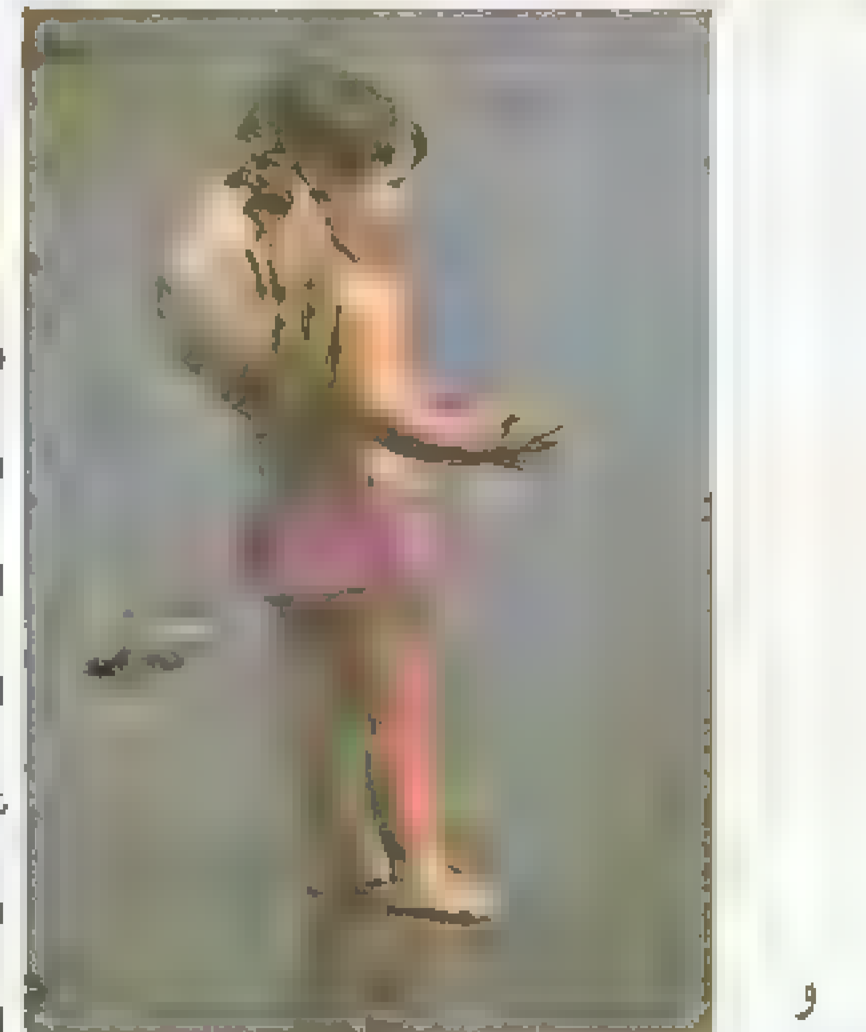

ب

والمَعْروفُ أنَّ كُلَّ لَوْنٍ في الصّورَةِ يَتْرُكُ أثَرَهُ في ألْوانِ الصّورَةِ الأُخْرى، لِذا يَتَحَتَّمُ عَلَيْكَ تأْليفُ الألْوانِ الَّتي تُناسِبُ غَرَضَكَ. ولْنَسْتَعْرِضِ الألْوانَ في الصُّوَرِ التّالِيَةِ.



ج. هنا تبرزُ القاطرةُ الحمراءُ بوضوحٍ بينَ خلفيّةِ الأشجارِ بتباينِ اللونينِ الأحمرِ والأخضرِ. التأليفُ اللونيُّ بسيطٌ لكنّهُ معبّرٌ.



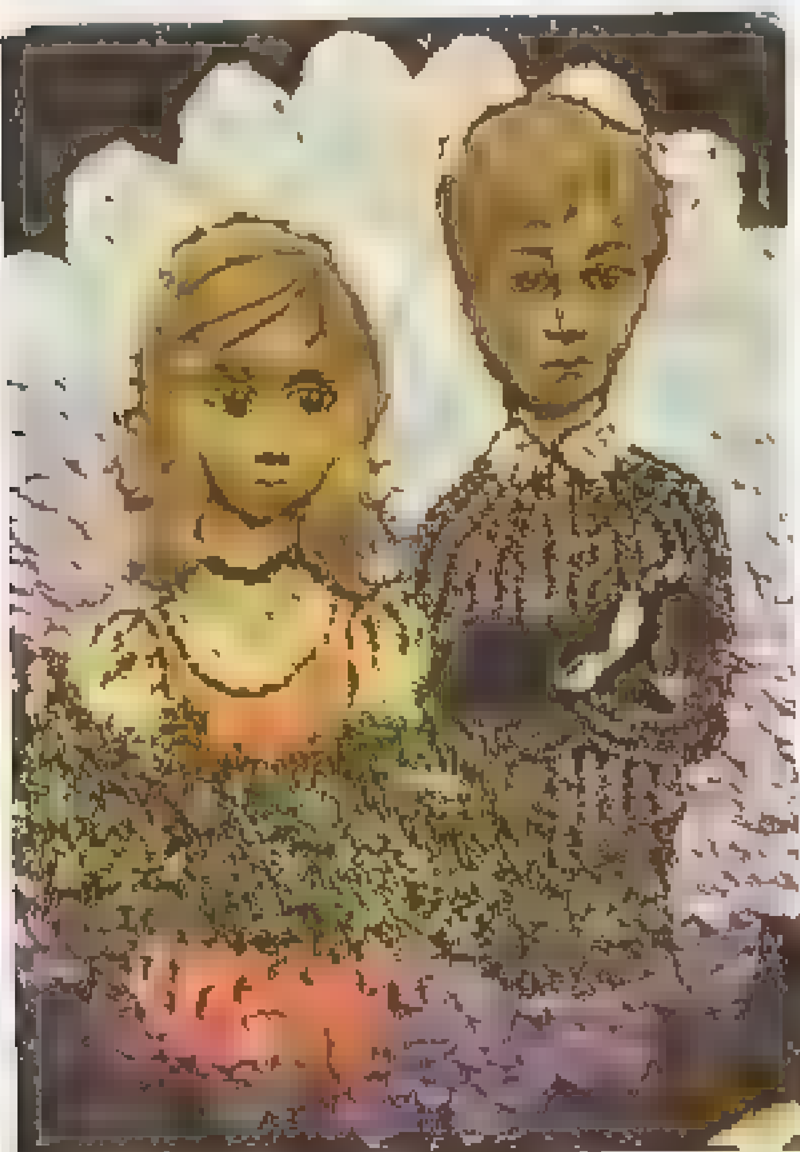


د. وهنا مثلٌ على ما نسمّيهِ «المنظورَ الجوّيَّ» حيثُ تؤلّفُ الألوانُ الدافئةُ الأقوى أماميّةَ الصورةِ والألوانُ الأضعفُ خلفيّتَها. وهذا يخلقُ شعورًا بالعمقِ لدى الناظرِ، لأنَّ العينَ البشريّةَ تركّزُ بدقّةٍ أكثرَ على الألوانِ الأقوى.

هـ. تنسيقٌ لونيٌّ ناجحٌ يبيّنُ تجلّيَ النوراتِ الحمراءِ الورديّةِ على خلفيّةٍ زرقاءَ.

و. هنا مثلٌ آخرُ على أماميّةٍ برتقاليّةٍ لكنْ على خلفيّةٍ أخفَّ زرقةً. قارنِ الصورتينِ من حيثُ وقعُهما في نفسِكَ.





ر. صورةٌ بسيطةٌ ومثيرةٌ للاهتمامِ تبيّنُ خيالَ قاربٍ منعكسًا في ماءٍ ساكنٍ وتستخدمُ تبايناتِ اللونينِ البرتقاليِّ والأزرقِ.

ح. تصميمٌ معقّدٌ نوعًا يتضمّنُ مدًى واسعًا منَ الألوانِ. الوقعُ مثيرٌ ولا شكَّ، لكنْ لاحظْ كيفَ تجتذبُ ألوانُ الأحمرِ والبرتقاليِّ في ثوبِ الفتاةِ، العينَ بعيدًا عنِ الوجهينِ. وهذا يؤكّدُ مجدّدًا أهمّيّةَ العنايةِ الفائقةِ في تأليفِ الألوانِ.

٤ سِحْرُ النَّظَرِ ثانِيَةً

سأُحاولُ في هٰذا الفَصْلِ تِبيانَ إمْكانِيَّةِ وجَدْوى دِراسَةِ المَناظِرِ المَأْلوفَةِ في أَوْضاعٍ مُتغايِرَةٍ نُسجِّلُها لَها بالكاميرا عَلى مَدارِ السَّنَةِ. فالطَّبيعَةُ في تَغَيُّرٍ دائِمٍ – أَحْوالُها وأَلْوانُها تَتَغَيَّرُ في كُلِّ مَوْسِمٍ وفي كُلِّ يَوْمٍ، بَلْ بَيْنَ ساعَةٍ وساعَةٍ أَوْ حَتّى بَيْنَ دَقيقَةٍ وأُخْرى. وفي التَّعْبيرِ عَنْ هٰذِهِ التَّغايُراتِ اللّامَحْدودَةِ يَكْمُنُ سِحْرُ التَّصْويرِ.

أ





ب

وَمِنَ الضَّرورَةِ بِمكانٍ أَنْ نَبْقى، بالرُّغْمِ مِنْ شَواغِلِ الحَياةِ اليَوْمِيَّةِ، واعينَ مُتَنَبِّهينَ لِهٰذِهِ الدّيناميكيَّةِ البَصَرِيَّةِ. فالَّذي يَقْتَصِرُ مَوْسِمُ التَّصْويرِ لَدَيْهِ عَلى عُطْلَةِ الصَّيْفِ يَخْسَرُ الكَثيرَ مِنَ المُتْعَةِ والإِبْداعِيَّةِ اللَّتَيْنِ تُوَفِّرُهُما لَنا هِوايَةُ التَّصْويرِ.

قارِنْ مَثَلًا الصّورَةَ أ بِالصّورَةِ ب، وهُما تُمَثِّلانِ المَنْظَرَ نَفْسَهُ – أَوَّلًا في الخَريفِ ثُمَّ في الشِّتاءِ. ولَعَلَّ في هٰذا المَنْظَرِ سِحْرًا جَديدًا لَوْ يُصَوَّرُ صَيْفًا!

وتُمَثِّلُ الصُّوَرُ الثَّلاثُ عَلى الصَّفْحَةِ التّالِيَةِ المَنْظَرَ نَفْسَهُ في مَنْجَمِ فَحْمٍ. التُقِطَتِ الصّورَةُ ج في صَباحِ يَوْمِ شِتاءٍ وَسْطَ الضَّبابِ بانْتِظارِ عُبورِ القِطارِ عَبْرَ نافِذَةٍ مُهَشَّمَةِ الزُّجاجِ لِتَعْبيرِ جَوِّ المَنْظَرِ الصِّناعِيِّ الكالِحِ.

ج

في الصّورَةِ د اكْتَمَلَ مَوْضوعُ الصّورَةِ بِوُصولِ القِطارِ بَعْدَ ساعَتَيْنِ مِنَ الانْتِظارِ. لاحِظْ إضافَةَ شَقَفِ الزُّجاجِ عَلى عَتَبَةِ النّافِذَةِ في أَمامِيَّةِ الصّورَةِ، وكَذٰلِكَ لاحِظْ ذَوَبانَ بَعْضِ الثَّلْجِ خِلالَ فَتْرَةِ الانْتِظارِ، والبُخارَ المُتَسَرِّبَ مِنَ القاطِرَةِ العَتيقَةِ. وفي الصّورَةِ هـ المَأْخوذَةِ بَعْدَ عامٍ في يَوْمٍ غائِمٍ ماطِرٍ يَبْدو التَّبايُنُ الكامِلُ حَيْثُ يَتَجَلّى الجَوُّ الصِّناعِيُّ الكالِحُ بِفَصْلِ الظُّروفِ المُغِمَّةِ وخَبَثِ الفَحْمِ.



هـ



د

أُدرُسِ الصُّورَتَيْنِ و وَ ز لِتَدريبِ عَيْنَيْكَ عَلى تَقَصّي التَّفاصيلِ ، فَهاتانِ الصُّورَتانِ هُما لِمَنْظَرٍ واحِدٍ في مَوْسِمَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ تَتَمَيَّزُ الصُّورَةُ الأُولى ، المَأْخوذَةُ في الخَريفِ ، بِظِلالٍ كَثيفَةٍ بَهيجَةٍ مُسّاقِطَةٍ في أَمامِيَّةِ الصُّورَةِ تَتَبايَنُ بِوُضوحٍ مَعَ خَلْفِيَّةٍ فيها الشَّمْسُ تُلَوِّنُ السّاحاتِ وَتُنَوِّرُ الحُقولَ . وَتَفْصِلُ الشَّجَراتُ الأَرْبَعُ مِنْطَقَتَيِ الظِّلالِ والنُّورِ ، وَهِيَ بِدَوْرِها تَعْكِسُ التَّبايُناتِ نَفْسَها مُراوِحَةً بَيْنَ أَوْراقِ خَلْفِيَّةِ الإضاءَةِ في يَسارِ الصُّورَةِ وَنِطاقاتٍ خُضْرٍ ظَليلَةٍ في يَمينِها .



و

لاحِظْ بِخاصَّةٍ تِلْكَ الوُرَيْقاتِ البُنِّيَّةَ في يَسارِ صَدْرِ الصُّورَةِ وَقَدْ أَنارَتْها الشَّمْسُ كَما نَوَّرَتْ وُرَيْقاتِ الشُّجَيْرَةِ إلى الخَلْفِ مِنْها مُباشَرَةً .

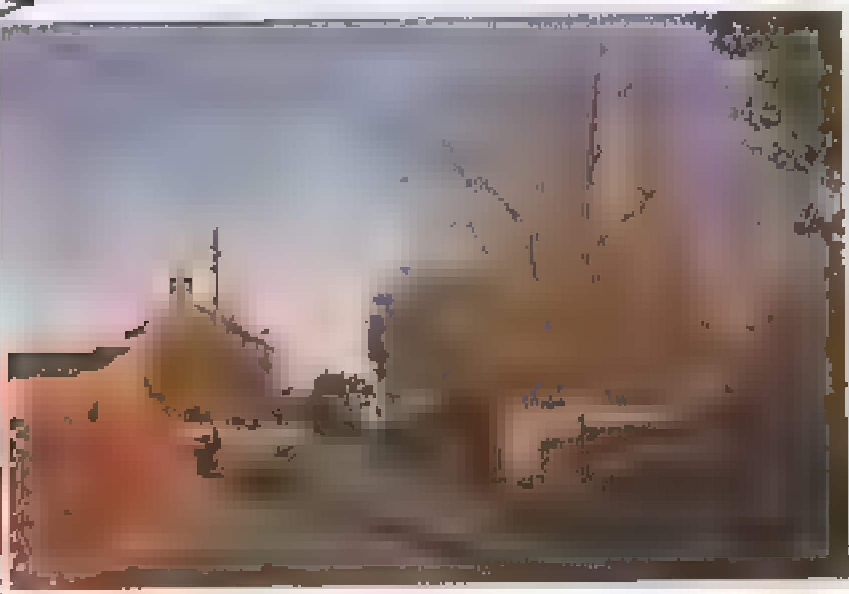
وأَخيرًا تَنْحَسِرُ المِنْطَقَةُ المُنارَةُ إلى اغْبِرارٍ أَزْرَقَ في أَقْصى خَلْفِيَّةِ الصُّورَةِ يُكْسِبُها عُمْقًا وَتَجْسيمًا لا غِنًى عَنْهُما لِإِبْرازِ سِحْرِ المَناظِرِ الطَّبيعِيَّةِ وَرَوْعَتِها .

قارِنْ ذلك بِالمَنْظَرِ الشِّتائِيِّ (ز) .



ز

وهُنا تَعْرِضُ لَكَ الصُّوَرُ تَغَيُّراتٍ دَقيقَةً في المُحْتَوى الفِعْلِيِّ لِلْمَنْظَرِ بالإضافَةِ إلى التَّبايُناتِ الضَّوْئِيَّةِ والمَوْسِمِيَّةِ فيهِ .



ح

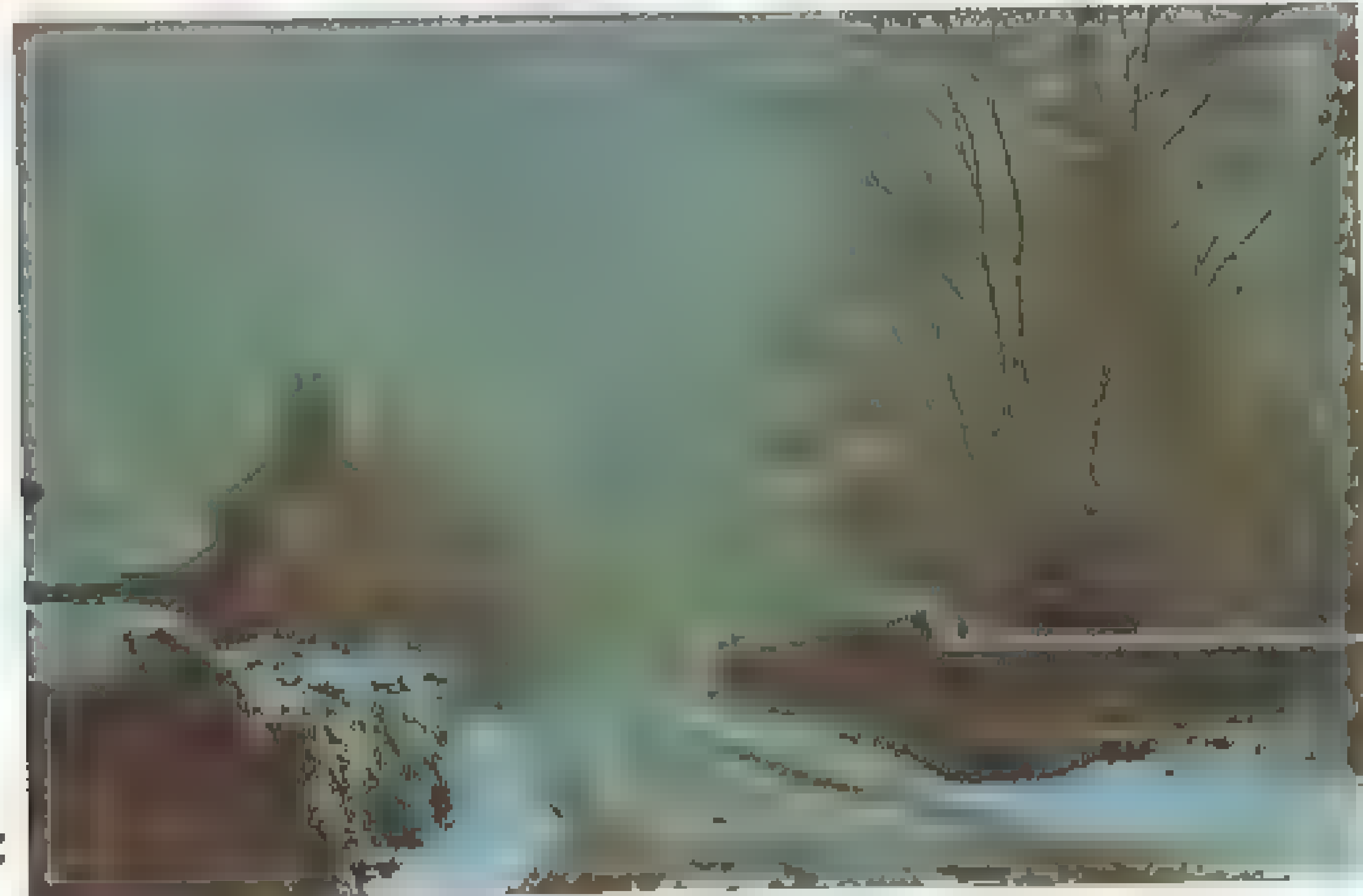
فَتُبَيِّنُ الصُّورَةُ الأُولى ثَلاثَ مَناطِقَ حَمْراءَ – السِّياجَ والسَّيّارَةَ والآسَ البَرِّيَّ ، وَكُلُّها تَضيعُ أَوْ تَخْتَفي في الصُّورَةِ الثّانِيَةِ .

أَمّا في المَنْظَرِ الثّالِثِ ، وَسْطَ الضَّبابِ والثَّلْجِ ، فَقَدْ تَحَوَّلَتْ مَعالِمُ الصُّورَةِ الرَّئيسِيَّةُ كالجِدارِ والبُرْجِ والبُيوتِ – إلى ظِلالٍ .



ط

وهُنالِكَ شَيْئانِ آخَرانِ لا نَجِدُهُما في المَشْهَدِ الأَخيرِ عَمودُ التِّلِغْرافِ أَمامَ البُيوتِ ، وَجَنَباتُ العُلَّيْقِ



ي

وتُمَثِّلُ لَكَ هٰذِهِ الصُّوَرُ المُثيرَةُ طَريقَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ لِلتَّعْبيرِ الإِبْداعِيِّ عَنْ مَنْظَرٍ بِالتَّصْويرِ الخَلّاقِ – وهُما تَعْديلُ التَّأْليفِ واسْتِخْدامُ عَدَساتٍ مُخْتَلِفَةٍ في الكاميرا. في الصّورَةِ الأولى تَقْبَعُ قاطِرَتانِ في مُسْتَوْدَعٍ مُعْتِمٍ عابِقٍ بِالدُّخانِ، وفي الثّانِيَةِ تَغَيَّرَ المَنْظَرُ بِإِضافَةِ قاطِرَةٍ ثالِثَةٍ وبِتَشْديدِ التَّرْكيزِ عَلى أَشِعَّةِ الضَّوْءِ. وقَدْ أُخِذَتْ كِلْتا الصّورَتَيْنِ بِعَدَسَةٍ قِياسِيَّةٍ (٥٠ مِلم).


ك


ل

أَمّا بِاسْتِخْدامِ عَدَسَةٍ مِنْ قِياسِ ١٣٥ مِلم فَقَدْ حَصَلْنا مِنْ مادَّةِ المَوْضوعِ نَفْسِها عَلى صورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمامًا (الصّورَة م). ولِإِمْكانِيَّةِ تَغْييرِ العَدَساتِ يَلْزَمُكَ آلَةُ تَصْويرٍ عاكِسَة.


م

خِلالَ الأَسابيعِ الأولى مِنَ الصَّيْفِ تَغْزو الحُقولَ أَسْرابُ الزَّهْرِ الأَصْفَرِ، وتَعْتَري مَناطِقَ الرّيفِ تَحَوُّلاتٌ طَبيعِيَّةٌ رائِعَةٌ.

وقَدْ أُخِذَتِ الصُّوَرُ المُحاذِيَةُ عَلى مَدى أُسْبوعَيْنِ مِنَ المَوْقِعِ نَفْسِهِ وفي ذاتِ السّاعَةِ مِنَ النَّهارِ. وتُبَيِّنُ الصّورَةُ ن طَبيعَةَ المَنْظَرِ وقَدْ أَنارَتْ شَمْسُ العَصْرِ المائِلَةُ بُرْجَ القَرْيَةِ وما حَوْلَهُ. وفي الصّورَةِ التّالِيَةِ، بَعْدَ بِضْعَةِ أَيّامٍ، أَضْفَتِ السُّحُبُ الكَثيفَةُ عَلى المَنْظَرِ بُعْدًا جَديدًا. أَمّا اللَّقْطَةُ النّادِرَةُ فَقَدْ أُخِذَتْ في الأُسْبوعِ التّالي، إِذْ صادَفَ ظُهورُ قَوْسِ قُزَحٍ بَعْدَ عاصِفَةٍ عابِرَةٍ. فَهَلْ يُمْكِنُكَ تَصَوُّرُ تَغْييرٍ أَكْثَرَ وَقْعًا مِنْ ذٰلِكَ؟


ن


س


ع

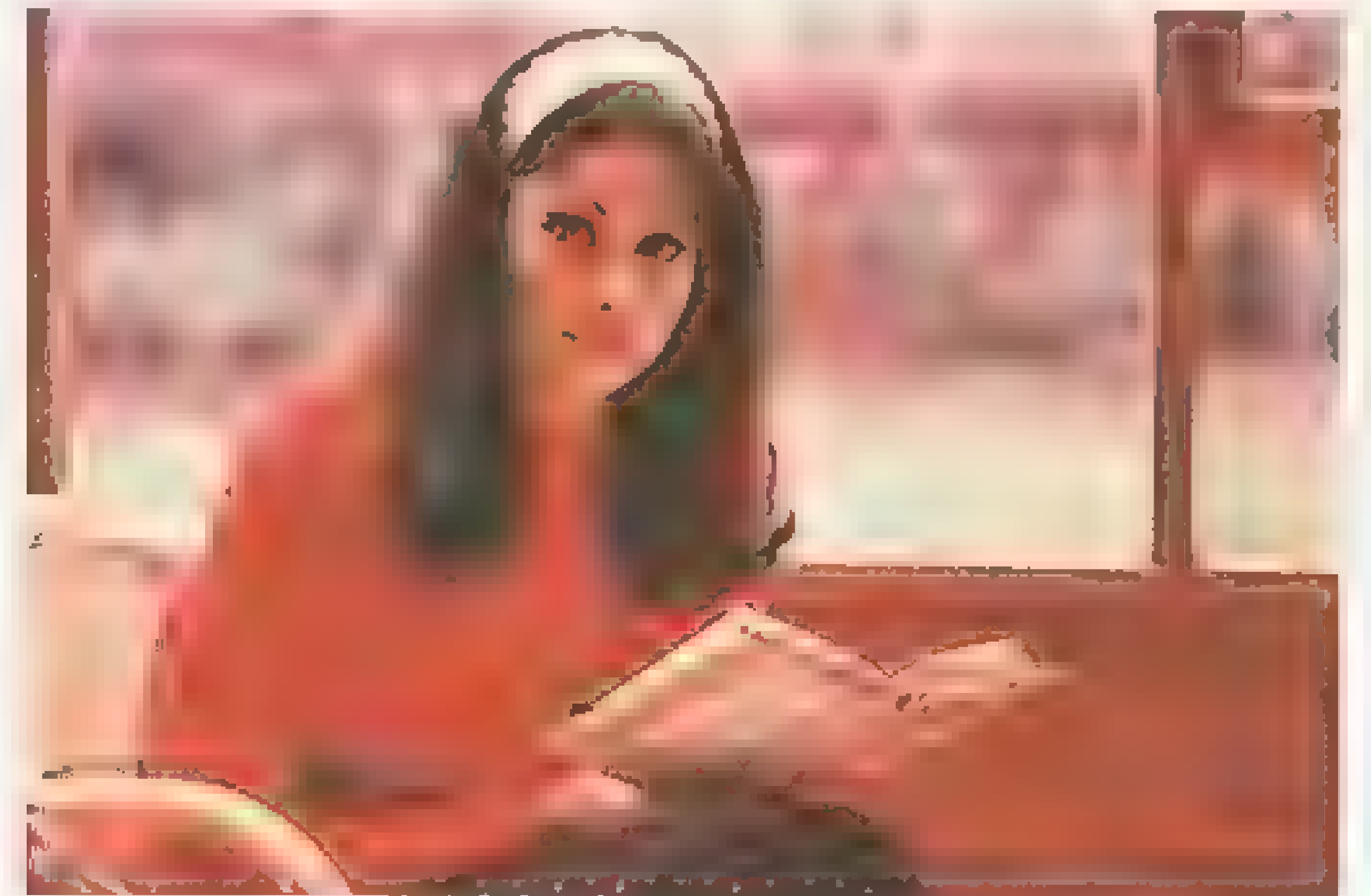
لَقَدْ أَثْمَرَ الصَّبْرُ والمُلاحَظَةُ الحاذِقَةُ صورَةً لَعَلَّها لَنْ تَتَكَرَّرَ أَبَدًا، وفي مِثْلِ هٰذِهِ اللَّقَطاتِ اعْتِزازٌ لِلْمُصَوِّرِ ومُتْعَةٌ!

ف

وأخيرًا هُنالِكَ نَوعٌ مُختلِفٌ تمامًا مِنَ التَّغايُرِ يَستَخدِمُ فيهِ المُصوِّرُ مَصْدَرَهُ الضَّوئِيَّ الخاصَّ بواسِطَةِ جِهازِ إنارَةٍ وَمّاضٍ . وقَدْ تَبْدو الصُّورةُ المُحاذِيَةُ ف مَقبولَةً لِلوَهْلَةِ الأُولى ، لكِنْ يَتَّضِحُ أنَّ وَجْهَ الفَتاةِ قاتِمٌ كامِدٌ – فالكاميرا لا تَستَطيعُ تجاوُزَ آثارِ مُستَوياتِ الإضاءَةِ الخَفيفَةِ كَما تَفعَلُ العَيْنُ .

ومَتى تَعَلَّمْنا استِباقَ هذهِ «البُقَعِ المُعتِمَةِ» ومَواقِعَها فَبالإمكانِ حَلُّ المُشكِلَةِ بِجهازِ إنارَةٍ وَمّاضٍ - إمّا بِمُكعَّباتِ الوَمْضِ على كاميرا إنْستاماتيك أَوْ بِمِصْباحِ وَمْضٍ إلِكْترونِيٍّ على الكاميرا العاكِسَةِ .

ويُمْكِنُ تَوْجيهُ جِهازِ الوَمْضِ نَحْوَ الجِسْمِ أَوِ المَوْضوعِ مُباشَرَةً أَوْ نَحْوَ جِدارٍ أَوْ سَطْحٍ أَبْيَضَ قَريبٍ لِتأتيَ الإنارَةُ أَلطَفَ وأفضَلَ انتِشارًا .



ص

٥ الرَّسْمُ بالكاميرا

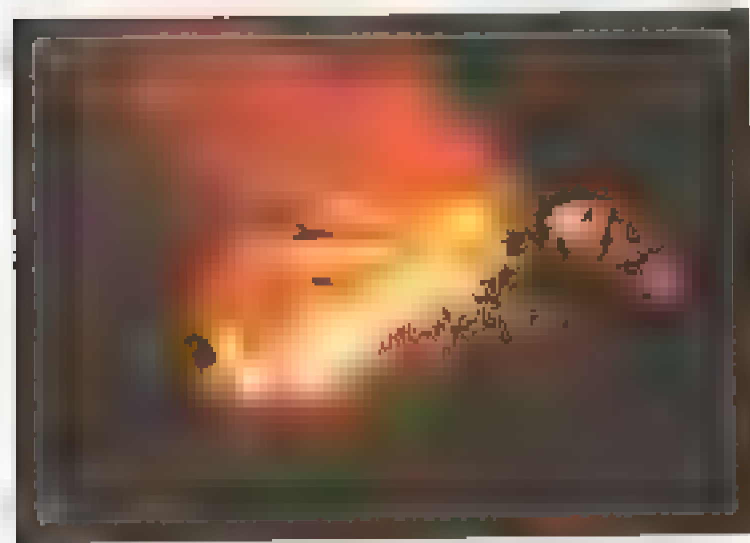
إنَّ في دِراسَةِ الرَّسّامينَ الكِبارِ عَبْرَ القُرونِ إلْهامًا وأُمْثولاتٍ قَيِّمَةً لِلمُصَوِّرِ الفوتوغرافِيِّ بالأَلْوانِ ، فَقَدْ رَسَّخَتْ مَفاهيمُهُمْ في الانْسِجامِ والقُوَّةِ ، إلى حَدٍّ بَعيدٍ ، أُسُسَ التَّصويرِ النّاجِحِ . ولِتَطْويرِ مَفْهومِنا التَّصْويرِيِّ لا بُدَّ لَنا مِنْ دِراسَةِ أَعْمالِهِمِ الفَنِّيَّةِ الرّائِعَةِ وتَذَوُّقِها

ونَعْرِضُ في هٰذا الفَصْلِ أَرْبَعَةً مِنَ الأَعْمالِ الفَنِّيَّةِ الرّائِعَةِ وبإزائِها صُوَرًا فوتوغرافِيَّةً مِنْ وَحْيِها تُماثِلُها مِنْ حَيْثُ المَوْضوعُ والمُعالَجَةُ .

اللَّوْحَةُ أ رَسَمَها الفَنّانُ فيليب دولوثِربُرغ عام ١٨٠١ ، وأَسْماها «كولبروكديل في اللَّيْلِ» ، وهِيَ تُمَثِّلُ أَحَدَ أَوَّلِ مَصاهِرِ الحَديدِ في العالَمِ في بِدايَةِ الثَّوْرَةِ الصِّناعِيَّةِ ، وتَتَجَلّى فيها دِراما سِباكَةِ الحَديدِ اللاّهِبَةِ .



أ



ب

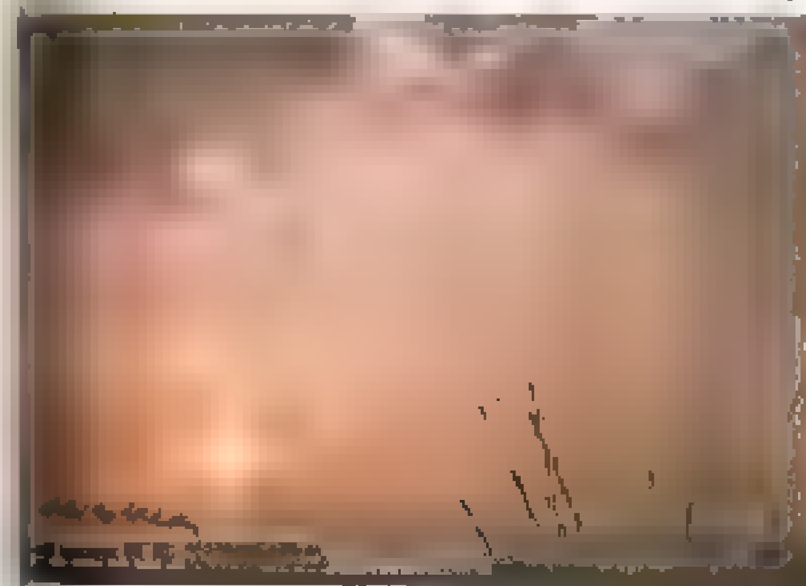
وفي الصُّورَةِ ب يُحاوِلُ المُصَوِّرُ ، مُتَأَثِّرًا بِوَقْعِ اللَّوْحَةِ ، مُضاهاةَ بَعْضِ بَهائِها . وتُمَثِّلُ الصُّورَةُ انْسِكابَ صُهارَةِ الخَبَثِ المَعْدِنِيِّ مِنْ صِناعَةِ الفولاذِ في مَقْلَبِ النُّفاياتِ قَبْلَ بُزوغِ النَّهارِ .

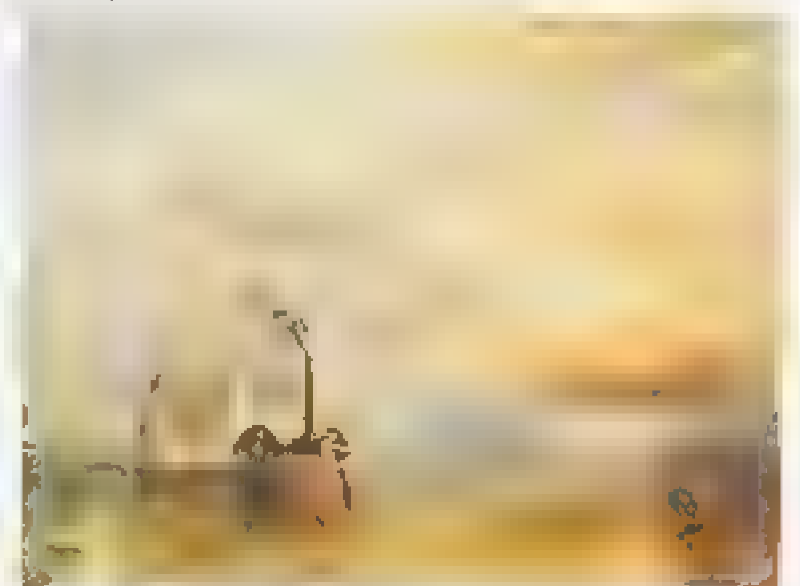
د


جـ


وفي اللَّوْحَةِ جـ أعْلاهُ رائِعَةُ جُون كُونْستابل «كاتِدْرائِيَّةُ سالِزْبُوري» رَسَمَها عامَ ١٨٢٣ . وتَتَجَلّى فيها رَوْعَةُ المَبْنى في إطارٍ خَلّابٍ مِنَ الأشْجارِ الباسِقَةِ. والصّورَةُ د المَأْخوذَةُ بَعْدَ ذلكَ التّاريخِ بِحوالى قَرْنٍ وتَصِفُ تَأَثُّرَ أُسْلوبَ لَوْحَةِ كونْستابل بِدِقَّةٍ. هٰذا الأُسْلوبُ التَّصْويريُّ بَعْضٌ مِنَ التِّقْنِيّاتِ الفَنِّيَّةِ الَّتي ابْتَدَعَها عَباقِرَةٌ كِبارٌ مِنْ أَمْثالِ كُونْستابل .

أَمّا تُحْفَةُ جُوزيف تيرْنَر «تِمِرير – المُحارِبَةُ الجَسُور» (هـ) الَّتي رَسَمَها عامَ ١٨٣٩ ، فَهِيَ وَثيقَةٌ تاريخِيَّةٌ مُهِمَّةٌ إلى جانِبِ كَوْنِها رائِعَةً فَنِّيَّةً. وهِيَ تُمَثِّلُ «التِّمِرير» إحْدى سُفُنِ نِلْسُن في مَعْرَكَةِ تْرافَلْغار مَقْطورَةً عَبْرَ التّيمْس إلى مَصيرِها المَحْتومِ لِكَسْرِ والتَّفْكيكِ. وهوَ مَشْهَدٌ عايَنَهُ تيرْنَر شَخْصِيًّا ، وعَبَّرَ عَنْ جَلالِهِ ومَأْساوِيَّتِهِ فيهِ بِشَمْسِ غُروبٍ خانِقَةٍ تُنيرُ أَرْجاءَهُ .


و


هـ

والصّورَةُ المُحاذِيَةُ (و) تُري مَشْهَدًا مُثيرًا لأَحَدِ القِطاراتِ الحَرْبِيَّةِ الأَلْمانِيَّةِ الَّتي اسْتُعْمِلَتْ في الحَرْبِ العالَمِيَّةِ الثّانِيَةِ وهِيَ أَيْضًا تَتَّخِذُ مِنْ شَمْسِ المَغيبِ تَعْبيرًا رَمْزِيًّا عَنِ المَشاعِرِ الرومانْسِيَّةِ نَحْوَ جيلٍ مِنَ الشَّوامِخِ يَنْطَوي .


حـ


ز

هَلْ خَطَرَ بِبالِكَ يَوْمًا التَّصْويرُ في الضَّبابِ؟ إنَّ ذلِكَ يُتيحُ أَحْيانًا إِمْكاناتٍ فَريدَةً كَما تُبَيِّنُ لَكَ الصّورَتانِ ز و حـ أَعْلاهُ. فَفي ز ، وهِيَ نُسْخَةٌ عَنْ لَوْحَةٍ لِلرَّسّامِ الانْطِباعِيِّ كْلُود مُونيه ، يُمَثِّلُ الرَّسّامُ مَباني البَرْلَمانِ البريطانِيِّ في أَثْناءِ إِحْدى مَوْجاتِ الضَّبابِ الفَظيعَةِ الخانِقَةِ الَّتي اكْتَسَحَتْ لَنْدَن في أَواخِرِ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ وبَيْنَما أَشِعَّةُ الشَّمْسِ تَخْتَرِقُ الضَّبابَ بِبُطْءٍ تَلوحُ أَطْيافُ المَباني كَالظِّلالِ ، وتَتَراقَصُ حُزَمُ النّورِ الذَّهَبِيَّةُ عَلى صَفَحاتِ نَهْرِ التّيمْس .

وبِمُحاذاةِ اللَّوْحَةِ صورَةٌ اسْتَوْحاها المُصَوِّرُ مِنْ رُؤْيا مُونيه وإِحْساساتِهِ .

٦ اِنْتِقاءُ المَوْضوعِ

أمّا وقَدْ أَصبَحْتَ مِنْ هُواةِ التَّصْويرِ الفوتوغْرافيِّ فعلَيْكَ الآنَ أنْ تُحدِّدَ مَوضوعَكَ المُفَضَّلَ لِلتَّصْويرِ. وهٰذا يَتقرَّرُ لا بِما يَحْلو لَكَ تَصويرُهُ، بَلْ بِما يَحْلو لَكَ إلى دَرَجَةٍ تَدْفَعُكَ إلى تَصْويرِهِ.

ومُعْظَمُ المَواضيعِ تَتطَلَّبُ عِنايَةً خاصّةً لِلْحُصولِ على نَتائِجَ جَيِّدَةٍ، كَما إنَّ المَوْضوعَ الَّذي تَخْتارُهُ يُحدِّدُ نَوْعَ المُعدّاتِ الَّتي تَحْتاجُ إلَيْها.

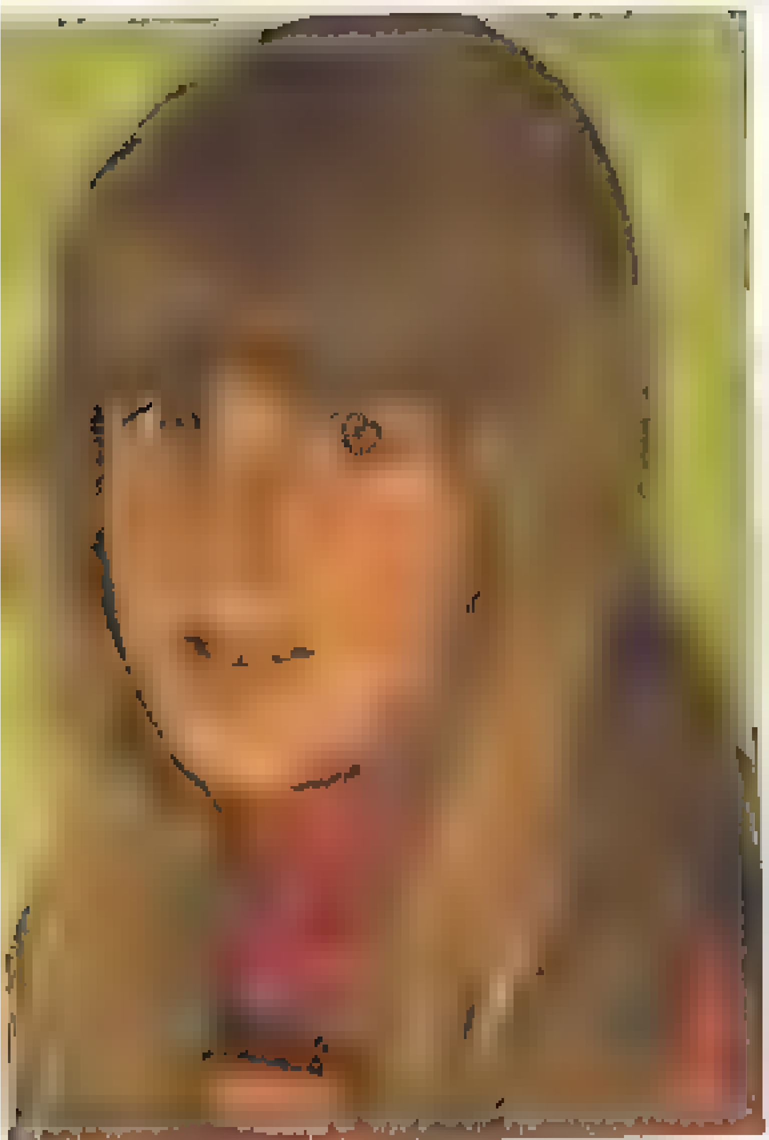
بَعْضُ المُبْتدئينَ مِنَ الهُواةِ يُصَوِّرونَ دونَ تَمْييزٍ فتَأْتي صُوَرُهُمْ، على الأَغْلَبِ، دونَ امْتِيازٍ وهَلْ يَتوقَّعُ هاوي الرِّياضَةِ، مَثَلًا، أنْ يُمارِسَ كُرَةَ القَدَمِ وكُرَةَ السَّلَّةِ والتِّنِسَ والكريكيتَ والسِّباحَةَ ويُجَلّي؟ لٰكِنَّهُ لَوْ يُرَكِّزُ على لُعْبَةٍ أوِ اثْنَتَيْنِ على الأَكْثَرِ - فإمْكانِيّاتُ نَجاحِهِ وامْتِيازِهِ تَتعزَّزُ ولا شَكَّ.

بَعْدَ اخْتِيارِ مَوْضوعِكَ المُفَضَّلِ، حاوِلْ أنْ تَتفَهَّمَهُ تَصْويريًّا. أُدْرُسْ مِيزاتِهِ وخَصائِصَهُ بَصَريًّا وواقِعِيًّا، واخْتَرْ نَوْعَ الكاميرا واللَّواحِقَ الأَنْسَبَ لِحاجَتِكَ.

وبالمُناسَبَةِ نُذَكِّرُكَ بِأَنَّ الكَثيرَ مِنَ الرَّسّامينَ الكِبارِ تَرْتَبِطُ أسْماؤُهُمْ بِمَوْضوعٍ مُعَيَّنٍ اخْتاروهُ كونْسْتابل ومَناظِرُ الرِّيفِ، رامْبرانْت وصُوَرُ الأَشْخاصِ، لوري والمَناظِرُ الصِّناعِيَّةُ، تورْبُرْن وصُوَرُ الطُّيورِ واللَّبوناتِ، تيرْنَر والمَناظِرُ البَحْرِيَّةُ.

والصُّوَرُ التّالِيَةُ تَعْرِضُ لَكَ بَعْضَ المَواضيعِ الَّتي تُوَفِّرُ آفاقًا لا حَدَّ لَها لِلتَّصْويرِ الفوتوغْرافيِّ.

أ. صُوَرُ الأَشْخاصِ


أ

قِلَّةٌ هِيَ المَواضيعُ الَّتي تَفوقُ «النّاسَ» كَمَوْضوعٍ لِصُوَرٍ مُثيرَةٍ وأخّاذَةٍ وهٰذِهِ الصُّوَرُ يُمْكِنُ أنْ تَكونَ رَسْمِيَّةً مُعَدًّا لَها – كالصّورَةِ المُحاذِيَةِ - أوْ تُؤْخَذَ على غَفْلَةٍ فَتَتَميَّزَ بالطَّبيعِيَّةِ والواقِعِ ويُمْكِنُ تَحْقيقُ الكَثيرِ في هذا المَجالِ باسْتِخْدامِ الكاميراتِ العادِيَّةِ البَسيطَةِ مُجَهَّزَةً بِمِصْباحِ وَمْضٍ أوْ بِدونِهِ – لٰكِنَّكَ في مَجالِ الصُّوَرِ المُتَخَصِّصَةِ والتَّعْبيرِيَّةِ تَحْتاجُ إلى كاميرا عاكِسَةٍ مُزَوَّدَةٍ بِعَدَساتٍ بَديلَةٍ مُتَنَوِّعَةِ المَدى.


ب

ب. فَنُّ العِمارَةِ

تَرَكَ لَنا الأَسْلافُ رَوائِعَ مِعْمارِيَّةً خالِدَةً مِنْ قِلاعٍ وأَسْوارٍ ومَساجِدَ وكَنائِسَ وسِواها. ويُمْكِنُ قَضاءُ أَوْقاتِ الفَراغِ على مَدى سِنينَ عَديدَةٍ في تَصْويرِها. ولَعَلَّ المُتْعَةَ في مُشاهَدَةِ هٰذِهِ الرَّوائِعِ ومُقارَنَتِها في مَواقِعِها وعُصورِها وطُرُزِها المُخْتَلِفَةِ تُعادِلُ المُتْعَةَ في تَصْويرِها.



جـ

ج. اللَّقَطاتُ القَريبةُ

تَكشِفُ هٰذِهِ اللَّقَطاتُ عالَمًا مِنَ السِّحْرِ واللَّوْنِ – فالأَزْهرُ والفَراشاتُ وصِغارُ الحَشَراتِ والطَّوابِعُ والمَسْكوكاتُ يُمْكِنُ الْتِقاطُ تَفصيلِها عَنْ قُرْبٍ بِمُعَدّاتٍ رَخيصَةٍ نِسْبِيًّا. الصّورَةُ أعْلاه أُخِذَتْ بِكاميرا إنْستاماتيك، لكِنْ يَلْزَمُكَ، لِلأَجْسامِ الأَصْغَرِ، كاميرا عاكِسَةٌ مُجَهَّزَةٌ بأنابيبِ تَطْويلٍ.

د. المَناظِرُ الطَّبيعيَّةُ

وهٰذِهِ هِيَ بِلا شَكٍّ أَكْثَرُ المَواضيعِ شَعْبِيَّةً. وتَذَكَّرْ أنَّ الغُيومَ، كما تَدُلُّ الصّورةُ أَدْناهُ، عِمادُ الصّورَةِ النّاجِحَةِ في المَنْظَرِ الطَّبيعيِّ.

د



هـ. وَسائِلُ النَّقْلِ

كانَتْ وَسائِلُ النَّقْلِ وما زالَتْ مَوْضوعًا يَجتَذِبُ كَثْرَةً مِنَ المُصَوِّرينَ. فالصَّورَةُ «تُجَمِّدُ الوَقْتَ» ووَسائِلُ النَّقْلِ المُدْهِشَةُ اليَوْمَ مِنْ قاطِراتٍ وحافِلاتٍ وطائِراتٍ قَدْ تُصْبِحُ تاريخًا بَعْدَ سَنَواتٍ قَليلَةٍ.

ولَعَلَّكَ تُفَضِّلُ القَواتِرَ المائِيَّةَ وقَوارِبَ العُبورِ الَّتي تَرى اثْنَيْنِ مِنْها في الصّورَةِ المُحاذِيَةِ.

هـ

و. التّاريخُ الطَّبيعِيُّ

لَقَدِ ازْدادَ الإقْبالُ عَلى التَّصْويرِ في هٰذا المَجالِ بِفَضْلِ تَيَسُّرِ العَدَساتِ الطَّويلَةِ البُعْدِ البُؤْرِيِّ ووَفْرَةِ الحَدائِقِ الطَّبيعِيَّةِ العامَّةِ المَفْتوحَةِ لِلْجُمْهورِ وهٰذا المَوْضوعُ تَخَصُّصِيٌّ نَوْعًا لكِنَّهُ يُشَكِّلُ تَحَدِّيًا لِهُواةِ التَّصْويرِ نَحْوَ صُوَرٍ يَعْتَزّونَ بِها ويُفاخِرونَ.

و



٧ الكاميرا العاكِسةُ (٣٥ ملّم)

عِنْدَما تَتَقَدَّمُ في هِوايَةِ التَّصْويرِ ، فالأَرْجَحُ أَنَّكَ سَتَحْتاجُ إِلى كاميرا عاكِسَةٍ . وهٰذا النَّوْعُ مِنَ الكاميراتِ يَمْتازُ عَنِ النَّماذِجِ البَسيطَةِ بِما يَأْتي :

١ إِمْكانِيَّةُ تَبْديلِ العَدَساتِ ؛

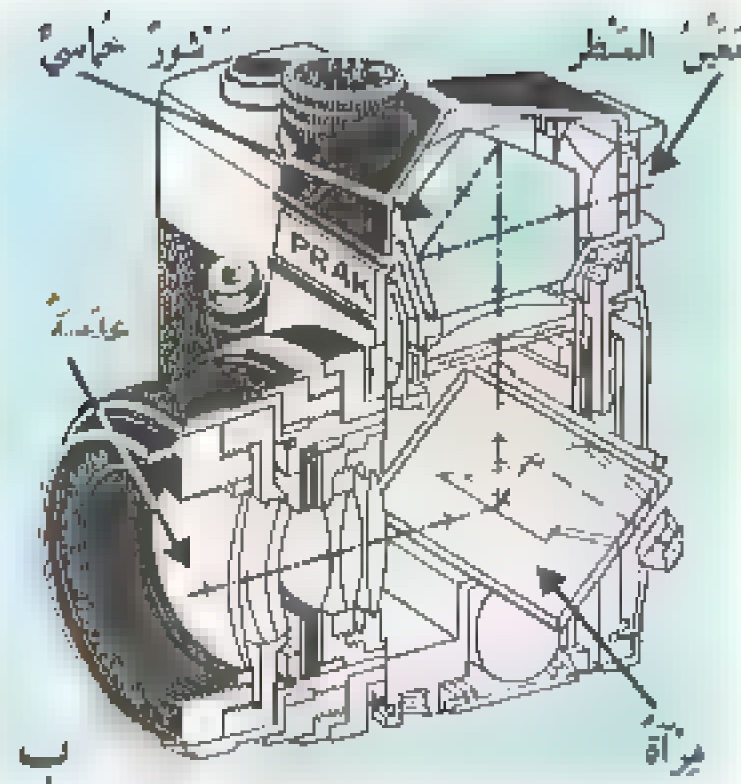
٢ وَسائِلُ ضَبْطٍ في الكاميرا والعَدَسَةِ تُمَكِّنُكَ مِنْ مُعالَجَةِ مُخْتَلِفِ الأَوْضاعِ ؛

٣ تَرْكيزٌ بُؤْرِيٌّ بِواسِطَةِ مُعَيِّنِ المَنْظَرِ (المُصَوِّبَةِ) ؛

٤ حِدَّةُ صُوَرٍ أَشَدُّ بِفَضْلِ عَدَساتٍ أَفْضَلَ صُنْعًا وفيلْمٍ أَكْبَرَ حَجْمًا ؛

٥ إِمْكانِيَّةُ اسْتِخْدامِ لَواحِقِ آلاتِ التَّصْويرِ ، كَأَنابيبِ التَّطْويلِ لِلَقَطاتِ القَريبَةِ .





ب


حـ

وتُشاهِدُ في الصّورَةِ أ جُزْءًا مِنَ المَجْموعَةِ الشّامِلَةِ لِكاميرا مِنْ نَوْعِ بْراكْتيكا – وهِيَ تَتَمَيَّزُ بِجودَتِها ورُخْصِها بالمُقارَنَةِ مَعَ مَثيلاتِها . وفي الصّورَةِ تَبْدو إِحْدى الكاميرَتَيْنِ مَنْزوعَةَ العَدَسَةِ بَيْنَما الأُخْرى مَكْشوفَةَ القَفا لإِظْهارِ مَوْضِعِ الفيلْمِ . ويُحيطُ بالكاميرَتَيْنِ أَنْواعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ العَدَساتِ يُمْكِنُ تَرْكيبُها لَوْلَبِيًّا عَلى الكاميرا حَسَبَ الحاجَةِ . وفي الوَسَطِ مِقْياسٌ وسْتُون لِشِدَّةِ الإِضاءَةِ مَعَ العِلْمِ أَنَّ مُعْظَمَ الكاميراتِ العاكِسَةِ مُزَوَّدٌ بِمِقْياسٍ ضَوْئِيٍّ مُثَبَّتٍ .

ويُبَيِّنُ الشَّكْلُ ب نِظامَ الرُّؤْيَةِ في الكاميرا العاكِسَةِ . فالمِرْآةُ تَعْكِسُ الصّورَةَ عَبْرَ المَوْشورِ الخُماسِيِّ إِلى المُصَوِّبَةِ . وهٰكَذا فإِنَّ الرُّؤْيَةَ والتَّرْكيزَ البُؤْرِيَّ كِلَيْهِما يَتِمّانِ فِعْلًا عَبْرَ العَدَسَةِ (ومِنْ هُنا تَسْمِيَةُ الكاميرا بالعاكِسَةِ)

أَمّا العَدَساتُ البَديلَةُ فلَها مِيزَتانِ رَئيسِيَّتانِ – أُولاهُما تَغْييرُ زاوِيَةِ المَنْظَرِ والثّانِيَةُ تَغْييرُ المَنْظورِ . ويَتَوَضَّحُ المَقْصودُ بِتَغْييرِ زاوِيَةِ المَنْظَرِ مِنَ الصُّوَرِ د إِلى ي ، حَيْثُ رُكِّزَتِ الكاميرا في مَوْضِعٍ ثابِتٍ باتِّجاهِ البُرْجِ البَعيدِ وبُدِّلَتِ العَدَساتُ .



د



هـ



و



ز



ح



ط



ي

أُخِذَتِ اللَّقْطَةُ الأولى بِعَدَسَةٍ مُتَّسِعَةِ الزّاوِيَةِ قِياسِ ٢٠ ملّم . ويَلوحُ فيها البُرْجُ في الأُفُقِ البَعيدِ . وبِاستِخْدامِ عَدَساتٍ أَطْوَلَ (حَتّى ٣٠٠ ملّم) يَزْدادُ المَوْضوعُ هَيْمَنَةً على مُجْمَلِ الصّورَةِ . ولِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ العَدَساتِ مَجالُهُ – فالعَدَسَةُ المُتَّسِعَةُ الزّاوِيَةِ ضَرورِيَّةٌ حَيْثُ المَدى مَحْدودٌ ضَيِّقٌ ، كَما في غُرْفَةٍ مَثَلًا ، أَمّا

ك





ل

العَدَساتُ الأَطْوَلُ فَضَرورِيَّةٌ في تَصْويرِ الأَشْياءِ البَعيدَةِ .

وتُوَضِّحُ الصّورَتانِ ك و ل بِجَلاءٍ كَيْفِيَّةَ تَغْييرِ المَنْظورِ لاحِظِ النِّسْبَةَ بَيْنَ قُرْمَةِ الشَّجَرَةِ والكوخِ في الصّورَتَيْنِ . لَقَدْ أُخِذَتِ الأولى بِعَدَسَةِ ٢٩ ملّم مُتَّسِعَةِ الزّاوِيَةِ عَنْ بُعْدِ بِضْعَةِ أَقْدامٍ فَقَطْ مِنَ القُرْمَةِ الَّتي بَدَتْ عِمْلاقَةً تَمْلَأُ الصّورَةَ .

وفي الصّورَةِ ل تَراجَعَ المُصَوِّرُ مَسافَةً على مُسامَتَةِ مِحْوَرِ الكاميرا واسْتَخْدَمَ عَدَسَةَ ٢٠٠ ملّم ، فَعادَ التَّناسُبُ الواقِعِيُّ لِلْمَنْظورِ – القُرْمَةِ والكوخَيْنِ . ومِنَ الواضِحِ أَنَّ ذٰلِكَ ما كانَ يَتِمُّ دونَ تَغْييرِ مَوْقِعِ الكاميرا وعَدَسَتِها ، ولَوِ اخْتَلَفَتِ العَدَساتُ دونَ تَغْييرِ المَوْقِعِ لَتَغَيَّرَتْ زاوِيَةُ المَنْظَرِ فَقَطْ – كَما في الصُّوَرِ د إلى ي .

والآنَ هيّا نتدارَس إمكاناتِ استخْدامِ تغيُّراتِ المَنْظورِ في مَجالاتِ التّصْويرِ الإبْداعيِّ. تَفَحَّصِ الصّورَتَيْنِ م و ن بدِقّةٍ فكِلاهُما تُبيِّنُ القاطِرَةَ في مرْحَلَةِ التّكْسيرِ لِلْخُرْدَةِ. تُرينا الصّورَةُ الأولى الرِّجالَ يُعِدّونَ العُدَّةَ لإحْتِراقِ المِرْجَلِ بِمَشاعِلِهِمِ الأَسيتيليِّيَّةِ، بَيْنَما تَعَشَّتْ مُقَدِّمَةُ الصّورَةِ بِمَظاهِرَ تَشْريحيَّةٍ لِلْقاطِرَةِ – مَكابِسَ وعَجَلاتٍ ومَحاوِرِ دَوَرانٍ ومِدْخَنَةٍ. وقَدِ الْتَقَطَ المَنْظَرُ بِزاوِيَةٍ خَفيضَةٍ صَباحًا بِكاميرا عاكِسَةٍ وعَدَسَةِ ٥٠ ملّم.

وفي الصّورَةِ الأُخْرى ن (المأخوذَةِ بِعَدَسَةٍ مُتَّسِعَةِ الزّاوِيَةِ) أَبْرَزَ الغَسَقُ تألُّقَ المَشاعِلِ الأَسيتيليّةِ وأَضْفى شَفَقُ الغُروبِ على المَنْظَرِ تألُّقًا مُوازِنًا. وقَدْ أُزيلَ جِدارُ المِرْجَلِ أَوْ كادَ وبَدَتِ الأَنابيبُ بَيْضاءَ مُغَبَّرَةً بالقُشورِ. لاحِظْ تأثيرَ الشَّفَقِ الحالِمَةِ في أَماميَّةِ الصّورَةِ – وقَدْ أثارَها الوَمّاضُ – في إعْطاءِ المَنْظورِ عُمْقًا وقُوَّةً.

حالُ القاطِرَةِ تَغَيَّرَ كثيرًا، والإضاءَةُ بِنورِ الشَّمْسِ في م صارَتْ إلى مَزيجٍ مِنْ شَفَقِ الغُروبِ ونورِ المِصْباحِ الوَمّاضِ في ن.


م


ن

ومِنَ الإمْكاناتِ الّتي تُتيحُها الكاميرا العاكِسَةُ مُبايَنَةُ مَناطِقِ الحِدَّةِ في الصّورَةِ، كَما هُوَ واضِحٌ في الصّورَةِ س. ويُعْرَفُ هٰذا بأُسْلوبِ التَّرْكيزِ التَّفاضُليِّ – لاحِظِ التَّرْكيزَ على الثِّمارِ العُلَّيْقيَّةِ بالنِّسْبَةِ لِلقاطِرَةِ. وتُضَبَّبُ خَلْفيَّةُ الصّورَةِ بِهٰذا الأُسْلوبِ إمّا لِطَمْسِ تَفاصيلَ تَصْرِفُ الإنْتِباهَ عَنِ المَوْضوعِ أَوْ لِزِيادَةِ وَقْعِ المَوْضوعِ نَفْسِهِ بالتَّرْكيزِ عَلَيْهِ. وهٰذا الأُسْلوبُ مُهِمٌّ في مَجالِ التَّعْبيرِ الفوتوغْرافيِّ ويُمْكِنُ إتْقانُهُ بِسُهولَةٍ بالمُمارَسَةِ وباسْتِخْدامِ العَدَساتِ المُناسِبَةِ.

وإنّا لَنَأْمُلُ أَنْ تُؤَلِّفَ نِقاطُ البَحْثِ الّتي عالَجْناها حَتّى الآنَ أَساسًا لِفَيْضٍ مِنَ التَّعْبيرِ الشَّخْصيِّ في أُسْلوبِكَ التَّصْويريِّ.

س

٨ الأُسْلوبُ الشَّخْصِيُّ

إنَّ الصّورَةَ الَّتي تَلتَقِطُها أنْتَ لِمَوْضوعٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الَّتي يأخُذُها صَديقُكَ لِلْمَوْضوعِ نَفْسِهِ ، فَلِكُلٍّ أسْلوبُهُ الشَّخْصِيُّ الَّذي تَتَحَدَّدُ مَعالِمُهُ بِوضوحٍ خِلالَ مُمارَسَتِهِ التَّصْويرَ . والمُصَوِّرُ الجَيِّدُ يَتَمَيَّزُ – كالرَّسّامِ الجَيِّدِ – باخْتِيارِ مَوْضوعاتِهِ وبِنَوْعِيَّةِ الإضاءَةِ والتَّأليفِ واللَّوْنِ والعَدَساتِ ، وأخيرًا لا آخِرًا بِما تُعَبِّرُ عَنْهُ صُوَرُهُ .

وسَنَسْتَعينُ مُجَدَّدًا بِبَعْضِ الرَّسّامينَ الكِبارِ في سِتَّةِ مَناظِرَ مُخْتَلِفَةٍ تُؤَلِّفُ المَباني مَوْضوعَها . في هٰذِهِ المَناظِرِ تَتَجَلّى أساليبُ شَخْصِيَّةٌ عَبَّرَ فيها كُلُّ فَنّانٍ عَنْ مَشاعِرِهِ وأحاسيسِهِ بِوُضوحٍ . المَنْظَرُ أ ، لِلرَّسّامِ الإيطاليِّ أنْطونْيو كاناليتّو (١٦٩٧ ١٧٦٨) ، يُشْبِهُ الصّورَةَ الفوتوغْرافِيَّةَ ، كالكَثيرِ مِنْ لَوْحاتِ هٰذا الرَّسّامِ ، في تَفاصيلِهِ الدَّقيقَةِ الميكانيكيَّةِ ونورِ الشَّمْسِ السّاقِطِ مِنْ خَلْفِ النّاظِرِ .

أ



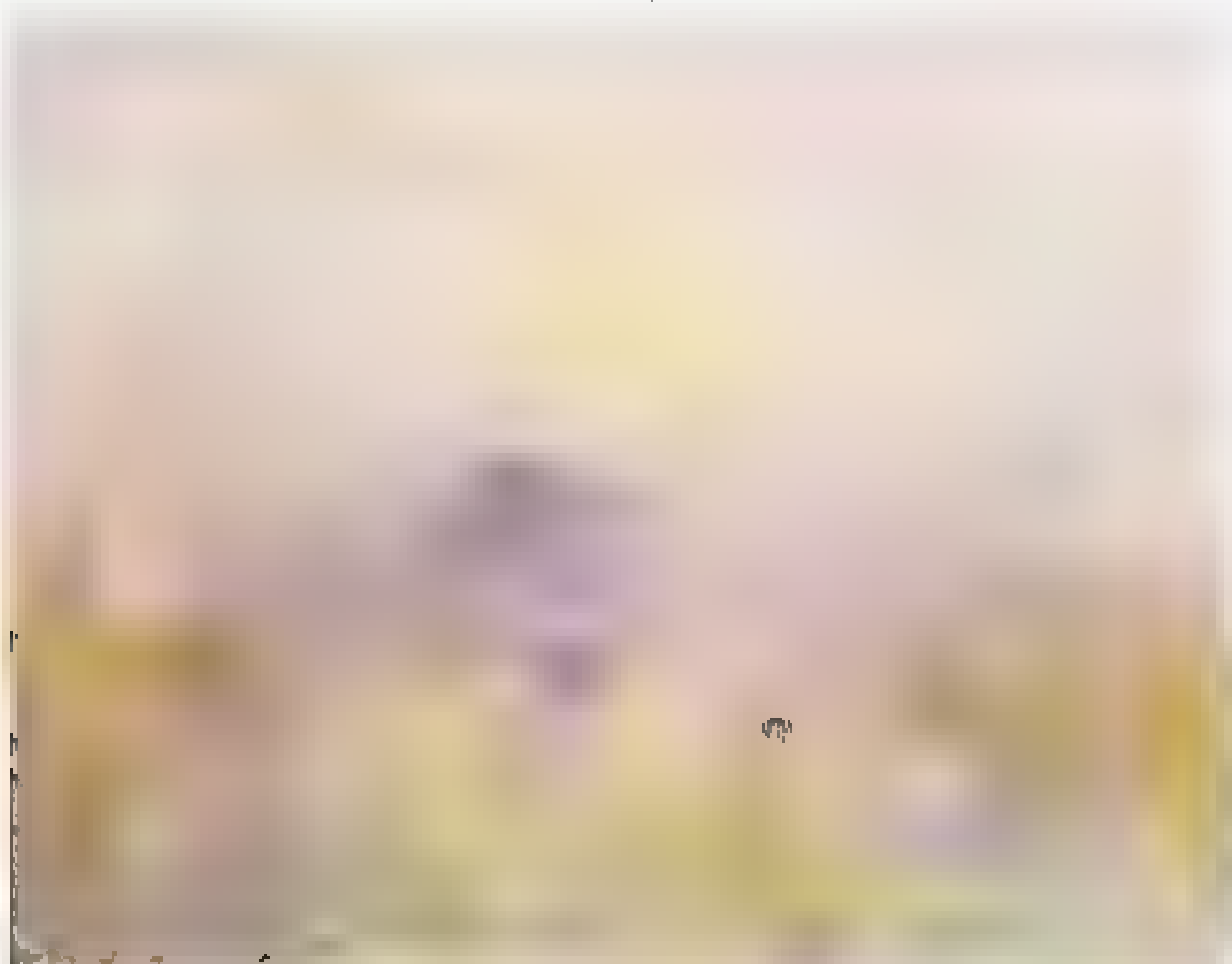
ب



أمّا المَنْظَرُ المُحاذي فَلِلرَّسّامِ فرانْسيسْكو غواردي الَّذي عاصَرَ كاناليتّو وعَمِلَ بِمِثْلِ أسْلوبِهِ . وتَعْكِسُ خُشونَةُ الدِّهانِ ومُعالَجَتُهُ أسْلوبًا أقْرَبَ واقِعِيَّةً إلى المَوْضوعِ الَّذي تُنيرُهُ الشَّمْسُ بِصَفاءٍ رائِعٍ .

وتَتَبايَنُ اللَّوْحَةُ ج مَعَ سابِقَتَيْها بِشَكْلٍ مَلْحوظٍ . ففي هٰذِهِ اللَّوْحَةِ المُعَنْوَنَةِ «الشُّروق ، قَلْعَةُ نورْهام» يُبَدِّدُ الرَّسّامُ بِألْوانِهِ المائِيَّةِ الكامِدَةِ شَكْلَ المَوْضوعِ في بُخارٍ ضَبابِيٍّ ، ويُضْفي بِالبَقَرَةِ الخائِضَةِ في المِياهِ الضَّحْلَةِ ، في صَدْرِ الصّورَةِ ، مِسْحَةً مِنَ السِّحْرِ عَلى المَنْظَرِ كُلِّهِ . وهٰذِهِ اللَّوْحَةُ هِيَ مِنْ أواخِرِ ما رَسَمَهُ جوزيف تيرْنَر (١٧٧٥-١٨٥١) ، وفيها يُمَثِّلُ تَفاعُلَ الضَّوْءِ واللَّوْنِ بِوَقْعٍ شاعِرِيٍّ حالِمٍ .

ج



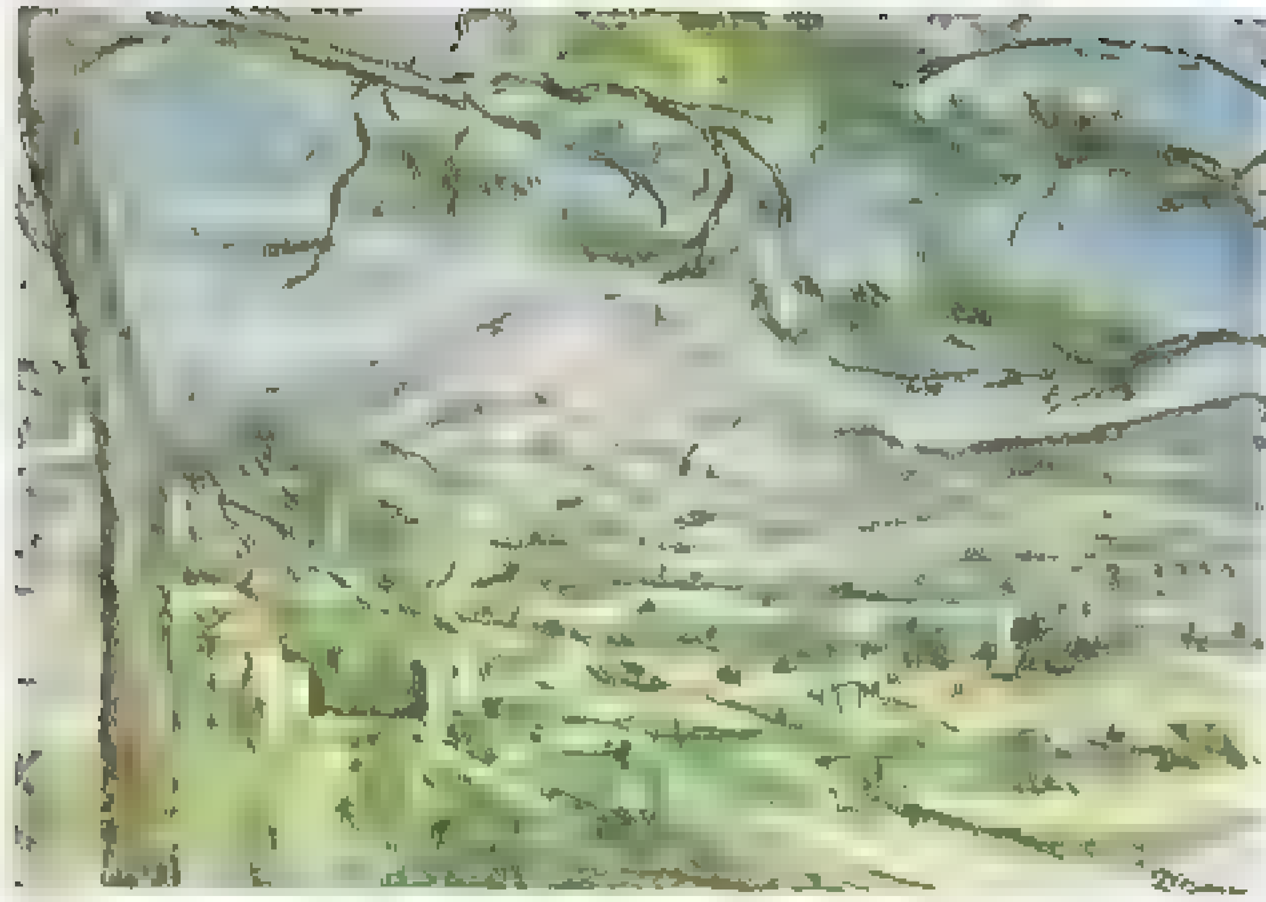
د



واللَّوْحَةُ د هِيَ لِلرَّسّامِ الفَرَنْسِيِّ كَميل بيسارُو (١٨٣٠–١٩٠٣). وهُوَ مِنْ جَماعَةِ الإنْطِباعِيِّينَ الَّذينَ يَنْظُرونَ إلى الطَّبيعَةِ لا كَكُتْلَةٍ مِنْ أَجْسامٍ جامِدَةٍ بَلْ كَمَزيجٍ باهِرٍ مِنَ الأَلْوانِ المُشْرِقَةِ الدّائِمَةِ التَّغَيُّرِ بِتَأْثيرِ تَغَيُّراتِ الضَّوْءِ فيها. وقَدْ عَمِلوا غالِبًا في الهَواءِ الطَّلْقِ وتَرَكَتْ آثارُهُمْ أَثَرًا بالِغًا في أَعْمالِ الرَّسّامينَ اللّاحِقينَ.

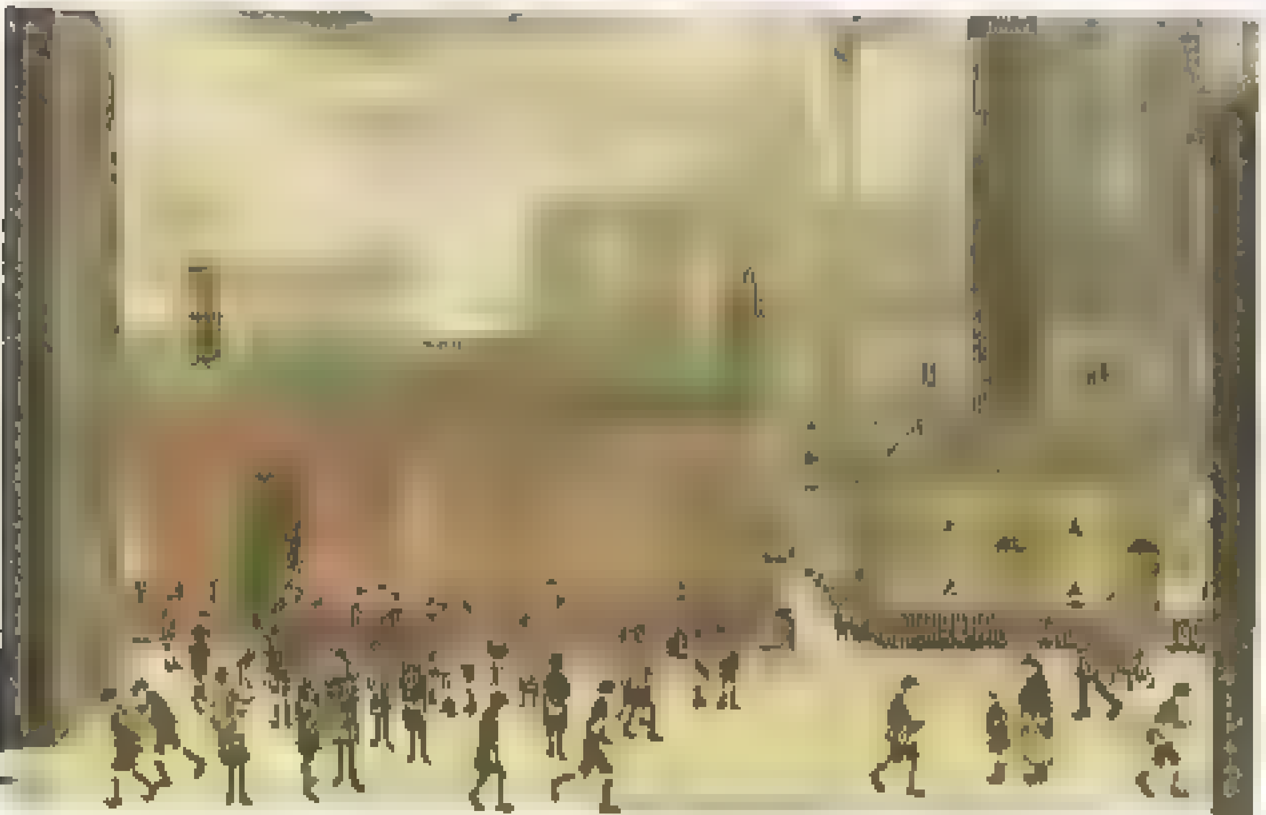
ومِنَ الرَّسّامينَ الَّذينَ تَأَثَّروا بِالمَدْرَسَةِ الإنْطِباعِيَّةِ بول سيزان (١٨٣٩–١٩٠٣). وقَدْ نَجَحَ في مَزْجِ صَرامَةِ الشَّكْلِ بِالتَّصْويرِ الإنْطِباعِيِّ بِالضَّوْءِ المُلَوَّنِ. كَما يَبْدو في المَنْظَرِ هـ لِجَبَلِ سانْ ڤيكتوار الَّذي رَسَمَهُ سيزان بِأَمْزِجَةٍ مُتَبايِنَةٍ عَلى مَدى بِضْعِ سَنَواتٍ. قارِنْ رَشاقَةَ الصَّنَوْبَرَةِ في هٰذا المَنْظَرِ بِشَجَرَةِ بيسارُو في المَنْظَرِ السّابِقِ. لاحِظْ أَيْضًا وطْدَةَ المَباني والجِسْرِ الحَجَرِيِّ بالإِضافَةِ إلى رُسوخِ الجَبَلِ وشُموخِهِ.

هـ



وأَخيرًا هٰذا المَنْظَرُ الصِّناعِيُّ لِلرَّسّامِ ل.س. لُوري ، وهُوَ مِنَ الرَّسّامينَ القَلائِلِ الَّذينَ رَكَّزوا عَلى المَناظِرِ الصِّناعِيَّةِ. وتَتَجَلّى في أَعْمالِهِ روحُ الثَّوْرَةِ الصِّناعِيَّةِ – عَجيجٌ سُكّانِيٌّ حَوْلَ مَصانِعَ مُوحِشَةٍ. والَّذي يَسْتَعْرِضُ رُسومَ لُوري يُلاحِظُ انْعِدامَ الظِّلالِ والسَّيّاراتِ أَيْضًا فيها فَما تُغْفِلُهُ اللَّوْحَةُ أَوِ الصّورَةُ هُوَ بِأَهَمِّيَّةِ ما تُبْرِزُهُ مِنْ حَيْثُ الأُسْلوبُ الشَّخْصِيُّ.

و



٩ وماذا بَعْدُ ؟

نَأْمُلُ أنّا بِهٰذا الكِتابِ قَدْ زَوَّدْنا تَوْقَكَ وأَثَرْنا حَماسَتَكَ لِلتَّصْويرِ ، ومِنَ المُهِمِّ أنْ تُداوِمَ أَنْتَ هٰذا الاِهْتِمامَ والتَّوْقَ عَنْ طَريقِ الوَسائِلِ التّالِيَةِ :

الرُّفْقَةُ الجَيِّدة

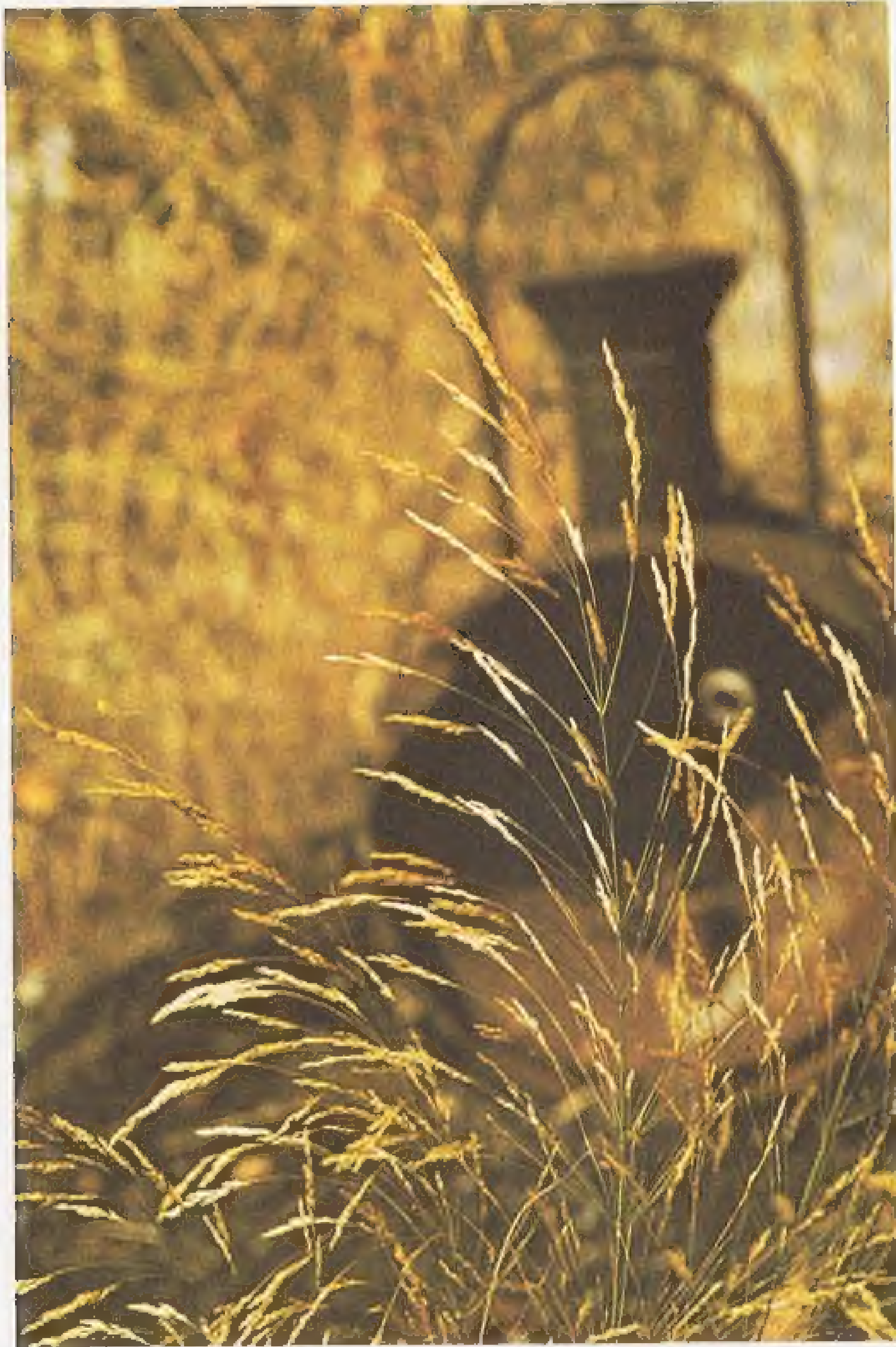
يُمْكِنُ تَطْويرُ إمْكاناتِكَ الإبْداعِيَّةِ لِلتَّصْويرِ وحَماسَتِكَ لَهُ بِمُخالَطَةِ زُمَلائِكَ المُهْتَمّينَ بالتَّصْويرِ. اِنْضَمَّ إلى نادي التَّصْويرِ المَحَلِّيِّ في بَلَدِكَ وكُنْ عُضْوًا ناشِطًا فيهِ لِتَبادُلِ الخِبْراتِ ولإقامَةِ المَعارِضِ والمُبارَياتِ.

مَجَلَّةٌ فوتوغْرافِيَّةٌ

إشْتَرِكْ في مَجَلَّةٍ فوتوغْرافِيَّةٍ جَيِّدَةِ المُسْتَوى. فمِثْلُ هٰذِهِ المَجَلّاتِ يَحْوي في العادَةِ مَقالاتٍ تَمْهيدِيَّةً لِلْمُبْتَدِئينَ وتَوْجيهاتٍ مُمْتازَةً لِلْهُواةِ وأَنْباءً وتَعْليقاتٍ حَوْلَ أَحْدَثِ المُعَدّاتِ ؛ وتُذَكِّرُكَ المَحَلِّيَّةُ مِنْها بِمَكانِ وزَمانِ المَعارِضِ الفوتوغْرافِيَّةِ في بَلَدِكَ.

المَكْتَبَةُ

باسْتِطاعَتِكَ ضَمُّ مَجْموعَةٍ مِنْ كُتُبِ التَّصْويرِ المُخْتارَةِ إلى مَكْتَبَتِكَ لِتَكونَ لَكَ مَرْجِعًا وإلْهامًا. فبِالإضافَةِ إلى كِتابِ «كَيْفَ تَعْمَلُ الكاميرا» في هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ هُنالِكَ كُتُبٌ عِدَّةٌ عَنِ التَّصْويرِ بِلُغاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. ولا تَنْسَ أنْ تُضيفَ إلى مَكْتَبَتِكَ بَعْضَ الكُتُبِ عَنِ الرَّسّامينَ المُفَضَّلينَ لَدَيْكَ. ويُمْكِنُكَ دائِمًا بِالطَّبْعِ اسْتِعارَةُ مَزيدٍ مِنْ هٰذِهِ الكُتُبِ مِنْ مَكْتَبَةِ المَدْرَسَةِ أَوِ النّادي أَوْ مِنَ المَكْتَبَةِ العامَّةِ إنْ وُجِدَتْ.



مِنْ مَقْلَبِ نُفاياتٍ اِلْتَقَطَ المُؤَلِّفُ هٰذِهِ الصّورَةَ بِكاميرا عاكِسَةٍ ، مُسْتَخْدِمًا أُسْلوبَ التَّرْكيزِ التَّفاضُلِيِّ لإبْرازِ التَّبايُنِ بَيْنَ الأَعْشابِ في مُقَدِّمَةِ الصّورَةِ والمِصْباحِ (الَّذي يَبْدو طامِسًا نَوْعًا). لاحِظِ انْتِقاءَ الأَلْوانِ وطَريقَةَ تَأْليفِ صورَةِ المِصْباحِ زاوِيًّا لِتِبْيانِ مَعالِمِهِ. قارِنْ أَيْضًا التَّرْكيزَ التَّفاضُلِيَّ هُنا بِنَظيرِهِ في الصّورَةِ س (صَفْحَة ٤٣).

زِيارةُ مَعارِضِ المُصَوِّرينَ والرَّسّامينَ

يُمْكِنُكَ الإفادةُ كَثيرًا مِنْ زِيارةِ بَعْضِ المَعارِضِ الَّتي يُقيمُها المُصَوِّرونَ الفوتوغرافيّونَ مِنْ هُواةٍ ومُحْتَرِفينَ لِلاطِّلاعِ على أَعْمالِهِمْ واسْتِلْهامِها – حَتّى ولَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الأَعْمالُ مِمّا يَروقُ لَكَ مَوْضوعُهُ أَوْ أُسْلوبُهُ. ولَنْ تَكونَ زِياراتُكَ لِمَعْروضاتِ الرَّسّامينَ والاسْتِمْتاعِ بِتُحَفِهِمْ أَقَلَّ فائِدةً وأَثَرًا – خاصَّةً إذا شَمِلَتْ تِلْكَ المَعْروضاتُ أَعْمالًا لِفَنّانينَ كِبارٍ مِنْ مُخْتَلِفِ البِلادِ والعُصورِ.

رَكِّزِ اهْتِمامَكَ في الزِّيارةِ الواحِدةِ على أَعْمالٍ وأَساليبَ مُحَدَّدةٍ تَسْتَوْعِبُها وتَسْتَمْتِعُ بِها، ولا تُحاوِلْ كُلَّ شَيْءٍ دُفْعةً واحِدةً فتَمَلَّ وتَسْأَمَ. إنَّ الأَعْمالَ الفَنِّيَّةَ الرّائِعةَ تَسْتَحِقُّ إجْلالَكَ وتَقْديرَكَ ووَقْتَكَ!

كَلِمةٌ أَخيرةٌ

اِخْتَرْ أَفْضَلَ الظُّروفِ لِالْتِقاطِ صُوَرِكَ – ولا بَأْسَ بِانْتِظارِ هٰذِهِ الظُّروفِ، فالتَّصْويرُ النّاجِحُ يَتَطَلَّبُ الصَّبْرَ والوَقْتَ! وهٰكَذا كانَ الحالُ في تَصْميمِ وتَنْفيذِ صُوَرِ هٰذا الكِتابِ. لَقَدِ اسْتَغْرَقَ الإعْدادُ لِصورةِ القِطارِ في الصَّفْحةِ المُقابِلةِ عِدَّةَ أَيّامٍ – وكانَ فيها لِلْمُؤَلِّفِ رِضًا وارْتِياحٌ بِما حَقَّقَهُ مِنْ إبْداعٍ فَنِّيٍّ.

رَكِّزْ نَشاطَكَ التَّصْويريَّ على مَناطِقَ قَريبةٍ مِنْ مَوْقِعِ سَكَنِكَ، فمُعْظَمُ صُوَرِ هٰذا الكِتابِ مَثَلًا لا يَبْعُدُ أَكْثَرَ مِنْ ٥ كيلومِتْراتٍ عَنْ بَيْتِ المُؤَلِّفِ. وإذا وَقَعْتَ على مَنْظَرٍ تَتَوَسَّمُ رائِعةً فيهِ فَخُذْ لَهُ عِدَّةَ صُوَرٍ بِأَوْضاعٍ وتَآليفَ مُخْتَلِفةٍ لاخْتِيارِ الأَمْثَلِ مِنْها – وهٰذا مُهِمٌّ بِخاصَّةٍ في إعْدادِ الشَّفّافيّاتِ المُلَوَّنةِ.

اِحْمِلْ مَعَكَ دائِمًا مُفَكِّرةً تُسَجِّلُ فيها زَمانَ ومَكانَ كُلِّ صورةٍ – والظُّروفَ الَّتي الْتُقِطَتْ فيها وأَوْضاعَ الكاميرا المُتَّخَذةَ عِنْدَ تَصْويرِها والهَدَفَ الَّذي قَصَدْتَهُ مِنْها. ثُمَّ قارِنِ النَّتائِجَ – وإذا لَمْ تَكُنْ راضِيًا عَنْ صورةٍ ما فادْرُسْ أَسْبابَ الخَطَإِ وأَعِدِ الْتِقاطَها بِالشَّكْلِ الأَفْضَلِ.

صَنِّفْ شَفافيّاتِكَ على ضَوْءٍ مُناسِبٍ. اِخْتَرْ أَجْوَدَها ونَسِّقْها في كَتالوجٍ تَحْفَظُهُ في مَكانٍ مُعْتِمٍ – فَسَيَتَجَمَّعُ لَدَيْكَ مِنْها يَوْمًا ما يَكْفي لِإقامةِ عَرْضِ شَفافيّاتٍ شَيِّقٍ.

إنَّ مُتْعةَ الصُّوَرِ الجَيِّدةِ لا حَدَّ لَها – وبِخاصَّةٍ إذا كُنْتَ أَنْتَ مُبْدِعَها. ولَعَلَّ الكاميرا أَحْيانًا هِيَ أَيْضًا «خَيْرُ رَفيقٍ في الزَّمانِ».



الفِهْرِسُ

سِلْسِلَةُ «الهِوايات»

١ – أَشْغالٌ يَدَوِيَّةٌ طَرِيفَة
٢ – لُعَبٌ وأَلْعابٌ يُمْكِنُكَ صُنْعُها
٣ – الحِيَلُ والأَلْعابُ السِّحْرِيَّة
٤ – أُصولُ السِّباحَةِ والغَطْس
٥ – مَبادِئُ الفُروسِيَّة
٦ – كَيْفَ تَصْنَعُ راديو ترانزستور
٧ – التَّصْويرُ بالكاميرا
٨ – الإِلِكْتْرونِيّات لِلْهُواة
٩ – تَعَلَّمِ الشَّطْرَنْج

Series 633 Arabic